الحُبُّ

بين الوهم والحقيقة

رُؤيةٌ إسلاميةٌ واقعيةٌ وسُبُلُ العلاج

تأليف الأستاذ
أشرف عبد الرحمن

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣ م

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٥٩٨٤

طبع بدار نوبار للطباعة



مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ،ناصية شارع الجمهورية،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا هذا الكتاب؟

* امتثالًا لأمره سبحانه وتعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

تنفيذًا لقوله ﷺ : « الدين النصيحة » . قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[(١)] .

* انطلاقًا من قيم ديننا ، وتعاليم ربنا ، وهدي سلفنا الصالح .

* تأثرًا بواقع أليم يحياه شبابنا اليوم ، وما نجده في ذلك الواقع من مآسٍ محزنة ، وحكايات مؤلمة ، ووقائع مفجعة .

* أقدم كتابي هذا صرخة ونداء .

○ صرخة لأولي الأمر ، وأصحاب الفكر أن يتداركوا هذا

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٥٥) عن تميم الداري رضي الله عنه .

الجيل بنصحهم وتقويمهم قبل فوات الأوان .

○ ونداءٌ لكل عاقل ، لكل مسلم أن يتدبر كتابي هذا بعين قلبه قبل عين بصيرته .

وكلي أمل أن يحقق هذا الكتاب المرجو منه ، والمراد من كتابته ، والمبتغى من تأليفه .

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

❊ ❊ ❊

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، إنه من يهده اللَّه تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله .

وبعـــــد

إن الشباب في كل أمة هم عماد نهضتها ، وأساس رقيها ، مما يحتم على أهل الرأي أن يدرسوا ما عليه الشباب من عادات ، وما يؤمنون به من أفكار كي يشجعوا منها ما هو صالح ، ويقوِّمُوا منها ما هو معوج .

ولقد ازدادت ظاهرة خطيرة بين الفتية والفتيات وفي جميع المراحل ، سواء في المدارس أو المعاهد أو النوادي أو الجامعات ؛ ألا وهي ظاهرة الإعجاب - المسمى زورًا بالحب - بين الفتية والفتيات .

وإيمانًا - مني - بخطورة هذه القضية وضرورة تناولها بشيء

من الشرح والبسط ، رأيت مستعينًا باللَّه سبحانه ، ومهتديًا بسنة نبينا عليه السلام ، ومسترشدًا بآراء أهل العلم والاجتماع والتربية ، رأيت أن أدلي بدلوي مضيفًا بعض ما سمعته ، وما رأيته خلال رحلتي التعليمية معلمًا ومتعلمًا .

فذكرت في كتابي هذا ما حقيقة الإعجاب ؟ وما آثاره ؟ وما السبل للخلاص منه ؟ وحرام هو أم حلال ؟ مع ذكر قصصٍ واقعية يحزن لها القلب وتدمع بسببها العين .

لأنه كم من الحماقات تُرتكب باسم الحب ؟

وكم من الأعراض تُنتهك باسم الحب ؟

وكم من الحدود تُهدر باسم الحب ؟

من هنا كان لابدَّ من تصحيح المفهوم ، وتعديل المسار ، وتقويم الوجهة .

ولقد جاء كتابي عبر الأبواب التالية :

الباب الأول : الحب : « تعريفه - أهميته » .

الباب الثاني : مراحل الوقوع في ذلك الأمر .

الباب الثالث : الأسباب المؤدية للوقوع في شراك الحب .

الباب الرابع : العواقب والآثار المترتبة على هذه العلاقة .

الباب الخامس : شبهات تُثار والردود عليها .

الباب السادس : سبل العلاج والإصلاح .

وأخيرًا : الخاتمة .

وأسأل اللَّه سبحانه وتعالى أن يشرح لكتابي هذا قلوبًا غلفًا ، وأذانًا صمًّا ، وأعينًا عميًا عن الحق ، وما كان فيه من خير وصواب فمن اللَّه وحده ، وما كان فيه من خطأ وزلل فمني ومن الشيطان .

ورحم اللَّه عبدًا رأى خطأً فنصح وقوّم ، وزللًا فهدى وأرشد . وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

وكتبه

أشرف عبد الرحمن

❊ ❊ ❊

الباب الأول

الحب : تعريفه - أهميته

« الحب شعور نفسي وإحساس قلبي وانبعاث وجداني ينجذب به قلب المحب تجاه محبوبه فأوله هزل وآخره جد »[1].

« الحب استعداد نفسي ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين ، مما يكوّن لدى الشخص اتجاهًا وجدانيًا تجاه هذا الموضوع »[2].

وللحب أسماء عدة من بينها : الهوى – الصبابة – الوجد – التيم – الغرام – الهيام – اللوعة – الود – الجوى – الشجو – العشق .

فنخلص من التعريفات السابقة بأن الحب ملكة سامية ونعمة ربانية أنعم بها اللّه على عباده كي يدركوا بها طريق النور ومعاني الجمال وروح الحياة وحياة الروح .

(١) طوق الحمامة لابن حزم ص٤٧ بتصرف .

(٢) علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية ص ١٤١ مصطفى فهمي .

لهذا فلا يمكن العيش بدون الحب ؛ لأننا نحتاجه حاجتنا للطعام والشراب فالنوم ، والأكل ، والشرب ، والحب كل أولئك من لوازم عيشنا ومقتضيات الفطرة التي فطر اللَّه الناس عليها .

وللحب مكانته وقدره في ديننا ، فهو حقيقة إنسانية واقعة بعيدًا عما أصابه من فكر خاطئ وفهم مغلوط ، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله .

ولنا أسوة في رسول اللَّه ﷺ ، فهو آية المحبين في كل زمان ومكان ، ولا أدل على هذا من قوله عن خديجة رضي اللَّه عنها : « إني رُزقت حبها »[1] .

ولما دخلت عليه هالة بنت خويلد - أخت خديجة - فرح بها وسعد وقال متبسمًا : « اللهم هالة »[2] .

وعندما سأله عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه : مَن أحب الناس إليك ؟ قال : « عائشة »[3] .

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٣٨١٨) ، ومسلم (٢٤٣٥/٧٥) عن عائشة .

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٢١) ، ومسلم (٢٤٣٧) عن عائشة .

(٣) صحيح . أخرجه البخاري (٣٦٦٢) ، ومسلم (٢٣٨٤) عن عمرو بن العاص .

وقال عليه السلام عن أسامة بن زيد والحسن بن علي : « اللهم إني أحبهما فأحبهما ، وأحب من يحبهما »[1] .

وقال : « حبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وجُعلت قرة عيني في الصلاة »[2] .

ومن ذلك حب عائشة لنبينا عليه السلام كما في الحديث أنه يعرف غضبها من رضاها فإن كانت غاضبة تقول : لا ورب إبراهيم ، وإن كانت راضية تقول : لا ورب محمد . فقالت : والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك[3] .

فمن ذا الذي ينكر سمو هذه العاطفة وعلو قدرها وعمق آثارها ؟

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٣٧٤٧) عن أسامة بن زيد .

(٢) حسن . أخرجه أحمد (١٢٨/٣، ١٩٩) ، والنسائي في عشرة النساء (٦١/٧) ، وأبو يعلى (٣٤٨٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٨/٧) عن أنس . وقال : روى ذلك جماعة من الضعفاء عن ثابت عن أنس . والله أعلم .

وأخرجه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٣٢٢، ٣٢٣) ، والطبراني في الأوسط (٥١٩٩) ، وأبو الشيخ في أخلاق النبي (٩٨- ٢٢٩) ، والضياء في المختارة (١٧٣٧) ، وجود إسناده العراقي ، وقواه الذهبي في الميزان (١٧٧/٢) ، وحسنه الحافظ في التلخيص (١١٦/٣) ، وانظر صحيح الجامع للألباني (٣١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٥/٥) ، ومسلم (٢٤٣٩) عن عائشة .

ولنتأمل حادثة العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول اللّه عندما خرج هاربًا من مكة فرارًا من الإسلام وأرسلت إليه تدعوه للإسلام وليرجع إلى مكة ، فبعث إليها برسالة تقطر حبًا : « واللّه ما أبوك عندي بمتهم وليس أحب إليّ من أن أسلك معك يا حبيبة في شعب واحد ولكني أكره أن يُقال أن زوجك خذل قومه فهلا عذرني وقدرني »[1] .

والطفيل بن عمرو الدوسي لما أسلم قال لزوجه : « لقد أصبحت علي حرام لأني أسلمت » . فقالت : أنا منك وأنت مني وديني دينك وأسلمت .

انظر إلى عمق هذه المشاعر القلبية النبيلة ورسوخها في ديننا ، ولكن : أي حب هذا الذي اعترف به الإسلام وجعل له قدره وشأنه ؟

هل ما نراه في الشوارع والطرقات ؟ هل ما نشاهده بأسى في النوادي والجامعات ؟

هل ما نجده في منظر معتاد : شاب مع فتاة يسيران معًا الذراع

(١) بيت الدعوة ص ٤٥ .

في الذراع وربما ما هو أشد من ذلك ؟

بالطبع : كلا ... أيها القارئ العزيز ، لقد تبدلت هذه العاطفة السامية وصار لها معنًى آخر عند كثير من الناس .

صارت مرادفة لنداء الرغبة والشهوة ، ونداء الجنس الرخيص ، ونجح البعض مدعومًا ببعض ما تبثه وسائل الإعلام المختلفة في تحجيم هذه العاطفة وتضييق مفهومها .

فمن أين أتى هذا التحول في الفهم ؟ وكيف تحقق ذلك التحجيم ؟ إن اللّه سبحانه أقام هذا الكون على أسس راسخة ، مِن أعظمها التجاذب والتعايش بين الرجل والمرأة ، فلا حياة صحيحة بدونهما معًا ، ونظرًا لوجود كثرة من الرجال والنساء احتاج الأمر إلى تنظيم صور التجاذب والتعايش بينهما حتى لا تعم الفوضى .

واستمد هذا التنظيم قيمته من أنه يتماشى مع الفطرة السوية أولًا ، ثم إنه يتفق مع الغاية من وجود النوعين في المجتمع ثانيًا .

ومن المعلوم أن خروج العلاقة بينهما عن القواعد المقررة هو بداية التحول في فهم حدود هذه العلاقة ومعرفة ضوابط عاطفة الحب التي تظللها . قال عليه السلام : « اتقوا الدنيا واتقوا النساء ،

فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء »[1].

فهذا الحديث يشير إلى أن بداية الانحراف ونقطة التحول كانت في الخروج عن الضوابط والحدود بين الجنسين ، ومما لا شك فيه أن الشهوات على اختلافها امتحان يختبر اللَّه به عباده ، ومما لا شك فيه أن المرأة في مقدمة هذه الشهوات مصداقًا لقوله سبحانه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾ الآية [آل عمران : ١٤] .

إذن فالمرأة ابتلاء واختبار كبير ... لماذا ؟ لأن جميع المحرمات التي حرمها اللَّه على عباده تأباها الفطرة السوية ؛ كشرب الخمر مثلًا والسرقة ، فالمرء السوي وإن كان ضعيف الدين فإنه يأبى شرب الخمر ويبعد عن السرقة ، أما الميل للمرأة فعلى الرغم من أنه قد يدفع الإنسان للوقوع في المحظور ما لم ينضبط بضوابط وقيود ، إلا أن الفطرة تشجع ذلك الميل عكس المحرمات الأخرى ، فهنا أمران :

أ- الفطرة السوية تقف عونًا مع حكم اللَّه ضد المعاصي كلها

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٢٧٤٢) عن أبي سعيد ، وأحمد (٣/٢٢) .

من سرقة وقتل وشراب خمر .

ب- الفطرة السوية تقف عونًا مع هذا الميل أو على الأقل تقف عاجزة عن كبح جماح ميل الرجل للمرأة والعكس .

ولكي تتضح أمامنا الصورة أكثر ، تعالوا بنا نستعرض - سريعًا - بعضًا من الأمم التي لم تراع ضابطًا ، ولم تقم حدًّا بين الجنسين وأباحت كل صور العلاقات بينهما ، ماذا كانت النتيجة ؟

١- اليونان والإغريق ضاعت حضارتهم لانغماسهم في الشهوات والترف والزنى .

٢- فرنسا هُزمت في الحرب العالمية الثانية لانشغال شبابها بالرقص والمواخير ، حتى قال قائدهم « بيتان » موبخًا رجاله : « زنوا خطاياكم إنها ثقيلة ، إنكم لم تريدوا أطفالًا وهجرتم حياة الأسرة ونبذتم الفضيلة وانطلقتم إلى الشهوات فانظروا مصيركم »[1] .

٢- يقول جورج بالوش في كتابه « الثورة الجنسية » :

- في سنة ٦٢: قال الرئيس الأمريكي « كنيدي » : إن

---

(١) ماذا عن المرأة : نور الدين عتر ص ٤١ .

مستقبل أمريكا في خطر ؛ لأن شبابها مائع وغارق في الشهوات والتمتع بالنساء والزنى .

– وفي العام نفسه سنة ٦٢ قال الرئيس الروسي « خروشوف » : إن مستقبل بلاده في خطر ؛ لأن شبابها غارق في ملذاته .

– في سنة ٦٤ تقدم (١٤٠) طبيبًا بمذكرة للملك والبرلمان البريطاني يطلبون فيها اتخاذ إجراءات للحد من الفوضى بين الجنسين التي تهدد حيوية الأمة »[١] .

وقالت الصحفية الأمريكية « هيلسبان ستانسيري » عندما زارت القاهرة : « إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا جعلت منهم عصابات أحداث ومخدرات ورقيق »[٢] .

بل « إن هناك مسيرات تمت في اليابان احتجاجًا على فوضى العلاقة بين الرجل والمرأة ، ورفعت هذه المسيرات لافتات كُتب

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام : عبد اللّه ناصح علوان ١/٢٧٨– ٢٨٠، ومراهقة بلا أزمة : أكرم رضا ٢/ ١٢٦.
(٢) مراهقة بلا أزمة ٢/ ٢١٢.

عليه : نعم للعفة ، لا للرذيلة »[1].

– في السويد وبلچيكا : عصابات من المراهقين لاغتصاب النساء ، حتى العجائز منهن .

– ويحدثنا التاريخ أن المعز الفاطمي لما أراد غزو مصر كان خائفًا من ذلك وعندما جاءته الأخبار باستهتار النساء وضياع الضوابط بين نساء الإخشيد ورجاله والتحرر من كل قيد ، تحرك للعمل وقال : اليوم فُتحت مصر ، الآن لا يصدنا عنها شيء ، فكان فتحه لها[2].

فنحن هنا أمام أمرين :

١ – إما تنظيم هذه العلاقة بضوابط من الشرع وقيود من المُثُل والقيم .

٢– وإما انفلات وتحرر ، والنتيجة كما هو مشاهد ضياع ودمار وشقاء وبوار .

---

(١) الأهرام القاهرية ٣/٨/١٩٩٨م .

(٢) المرأة العربية ٣/٦٣، تأملات في المرأة والمجتمع : محمد المجذوب ص ٧٩.

لأن العلاقة بين الجنسين وظيفة اجتماعية ذات أهداف سامية تتعلق بحياة المجتمع واستمرار البشرية ، ومن هنا تأتي أهمية الضوابط التي توازن بين رغبات الجسد ، وغايات الإنسان التي من أجلها خلقه اللّه سبحانه وجعله خليفته في الأرض .

ومن أعظم هذه الضوابط : ضابط الحلال والحرام الذي يوفق بين الرغبات والغايات في توازن وانسجام[1]. وضابط ربط القلوب بخالقها كي لا تختزل هذه العاطفة في ممارسات صبيانية ، وحركات شهوانية ، لا تثمر إلا شرًا وهلاكًا وهمًا وغمًا على الفرد والمجتمع ، وسيأتي تفصيل لهذه الضوابط فيما بعد إن شاء الله .

* * *

(١) مجلة المسلم المعاصر عدد ٦٢ ديسمبر ١٩٩١م ص١٨٢، مقال للدكتور فؤاد أبو حطب .

الباب الثاني

مراحل الوقوع في شراك الحب

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨].

إن الشيطان لا ييأس من بني آدم، لهذا فسلاحه العظيم الاستدراج وصولًا إلى الشر الأكبر والفاحشة العظمى، كما قال الشاعر:

نظرة فابتسامة فسلام   فكلام ثم موعد فلقاء

وللعشق مراحل بعضها يسلم للآخر كما يلي:

الخطوة الأولى: الاستحسان: الفتى يستحسن فتاة، والعكس يحدث، وسبب ذلك «العين والنظر المحرم»؛ لأن النظرة تعطي للمحبوب صفات كثيرة لا توجد فيه غالبًا، وهذا يعرف عند أهل الحب بـ «لغة العيون»، أو «همس الجفون».

فالنظرة المحرمة هي رسول ذلك الداء إلى القلب، كما قال الشاعر:

الحب أوله شيء يهيم به   قلب المحب فيلقى الموت كاللعب

يكون مبدؤه من نظرة عرضت ومزحة أشعلت في القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحة فإذا تضرّمت أحرقت مستجمع الحطب

لهذا كان لغض البصر أهميته ، وضرورته في ديننا ، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله .

الخطوة الثانية : الإعجاب : ونتيجة للخطوة السابقة فإن القلب يتعلق بما رأى ويشغل به ويصبح في النفس رغبة كامنة للاتصال بالمحبوب والأنس به والتلذذ بالحديث معه ، بل بقضاء الوقت كله في الحديث إليه .

الخطوة الثالثة : الهيام والعشق : ونتيجة لما سبق يصبح المرء ويمسي وليس في عقله ، ولا في قلبه إلا صورة المحبوب ، ويتضح هذا بأمارات عديدة من بينها :

* عدم تحمل فراقه للحظات طويلة .
* عدم الصبر عن محادثته .
* دوام ذكره ليل نهار .

○ فهنا استحسان ونظر ، أثمر فكرًا وانشغالًا ، صادف قلبًا خاليًا فتمكن منه كما قيل :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

وكما قال أفلاطون : « العشق حركة قلب فارغ » .

وصدق ربنا حاكيًا عن قوم لوط : ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر : ٧٢] .

« فالسكر حالة تحول بين المرء وعقله ، وتستخدم في الشراب المسكر ، وكذلك في حالتي الغضب والعشق »[1] .

فكما أن الخمر تذهب بعقل صاحبها ، فكذلك العشق يذهب بعقل صاحبه ، كما قيل :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثل لي ليلى بكل سبيل

وما أجمل ما قيل : لا ينبغي للمرء أن يذل نفسه ... كيف ؟

يجيب عن هذا إمام أهل السنة أحمد بن حنبل : هذا حال العاشق فإنه ذليل لمحبوب ولما يرضى به محبوبه .

وصدق الشاعر :

اخضع وذل لمن تحب فليس في   شرع الهوى أنف يشال ويقعد[2]

(١) فتح الباري ١١/٣٦٩، صيد الخاطر ٥٢٤.

(٢) الحب والجنس من منظور إسلامي: محمد علي قطب ص٩٥ بتصرف ، مكتبة القرآن .

وقال آخر :

قالوا عهدناك ذا عز فقلت لهم   لا يعجب الناس من ذل المحبينا
لا تنكروا ذلة العشاق إنهم   مستعبدون برق الحب راضون[1]

فخلاصة ما سبق :

أن مبدأ كل أمر هو النظرة التي تولد الخاطرة ، والخاطرة تولد الفكرة ، والفكرة تولد الإرادة ، والإرادة تولد العزيمة والفعل .

لهذا قيل : الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده . وقيل : حبس اللحظات أيسر من دوام الحسرات .

ويجب أن تعلم أن النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولابدّ لها من شيء تطحنه فإن وضع فيها حب طحنته ، وإن وضع فيها حصى طحنته فالأفكار ، والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى[2] .

فلتنظر عبد اللّه فيم تفكر ؟ وماذا تتمنى ؟

* * *

(١) الحب والجنس من منظور إسلامي ص ٩٦.
(٢) الفوائد ص١٥٣ وبعدها بتصرف المكتبة القيمة .

الباب الثالث

أسباب ودوافع الوقوع في هذا الأمر

إن وقوع الفتى في حب الفتاة والعكس وتجاوز ذلك من مجرد اعتباره شعورًا قلبيًا فحسب إلى محاولة إشباع ذلك الشعور في دنيا الواقع دون خوف من إله ، أو رادع من ضمير ، أو حساب لمجتمع ، إن هذا الوقوع له أسباب تدفع الشباب للسقوط في شباك هذه العلاقة وشرورها .

وهذا بيان مجمل لأغلبها حسبما تيسر لي :

أولًا الجهل بالدين : إن الناس اليوم – إلا من رحم الله – لا يعرفون المعنى الحقيقي للعبادة ، وما معنى أنهم عبيد لله وحده ؟ فالإنسان عابد بفطرته ولكن يختلف المعبود ، ولنتأمل قوله سبحانه : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس : ٦٠، ٦١] .

فالمرء إما عابد للشيطان ، متبع لوساوسه ، خاضع لنزغاته ،

وإما عابد للرحمن ، متبع لشرعه ، خاضع لأمره ونهيه ، فحقيقة العبودية للَّه أن تخضع كل أقوالنا ، وأفعالنا ، وأمورنا لما يحبه سبحانه من الأقوال والأعمال والاعتقادات .

حقيقة العبودية أن يتحرر القلب من كل سلطان إلا سلطان اللَّه ، ومن كل هوى يخالف دين اللَّه ؛ لأن أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن ، فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب ، لهذا يجب أن نعمر قلوبنا بفهم صحيح لديننا ، وتقويم رشيد لأفكارنا ، ولو فهمنا ذلك حق الفهم لما وجدنا خلوة محرمة ، ولا قبلة آثمة ، ولا عناقًا فاحشًا ، ولا عبارات تثير الغرائز ، وحركات تهيج المشاعر .

ثانيًا : قلة الحياء من اللَّه سبحانه : وثمرة للجهل بالدين ضعفت الأخلاق القويمة ، ومن أسماها شأنًا : خلق الحياء ، فلقد قال ﷺ : « إن لكل دين خلقًا ، وخلق الدين الحياء » [1] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١) ، والطبراني في الصغير (١٣/١) ، وأبو يعلى (٣٥٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه ، وضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة ، وله طريق آخر وشواهد يصح بها . وانظر الصحيحة (رقم ٩٤٠) للألباني رحمه الله .

فالحياء خلق كريم دافع لفعل الخيرات وترك المنكرات ، وما أجمل قوله عليه السلام عن نبي اللّٰه موسى : « كان موسى حييًّا ستيرًا لا يرى شيء من جلده استحياء »[1] .

أفلا نتأسى بهذا النبي الصالح ؟ ألا نقتدي بالنبي محمد عليه السلام الذي كان أشد حياءً من العذراء في خدرها[2] ؟

ألا نتأمل فعل عائشة رضي اللّٰه عنها عندما كانت تتكشف في حجرتها والنبي فيها مدفون ، ومن بعده دفن والدها الصديق ، فلما دفن عمر بجوارهما لم تعد تتكشف كما كانت وهي في منزلها ، لِمَ يا أم المؤمنين ؟ حياءً من عمر ، حياءً من رجل مات[3] .

يوم أن قَلّ الحياء من واقعنا المعاصر صرنا نشاهد ما يخزي وما يحزن .

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٤٧٩٩) ، ومسلم (٣٣٩) عن أبي هريرة ، واللفظ للبخاري .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٣٥٦٢) ، ومسلم (٢٣٢٠) عن أبي سعيد .

(٣) أخرجه أحمد (٦/٢١٩- ٢٢٠) ، وأبو يعلى (٤٩٦٢) ، قال الهيثمي في المجمع (٩/٣٢) : قلت في الصحيح وغيره طرف منه ، ورواه أحمد وأبو يعلى بنحوه ، ورجال أحمد ثقات . وصححه الحاكم (٤/٧) على شرط الشيخين .

أمن الحياء ذلك العري والتسكع في الطرقات ؟

أمن الحياء ذلك التكسر في المشية والخضوع في القول ؟

أمن الحياء ذلك الكلام المعسول المسمى زورًا بالحب ؟

أمن الحياء التلامس ... العناق ... ومكالمات نصف الليل ؟

يا قومنا ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح : ١٣] ، أَوَ ما نتدبر وصيته عليه السلام : « أوصيك أن تستحي من اللَّه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك »[1].

ألا نعتبر بقوله سبحانه كما في الأثر : « ما أنصفني عبدي يدعوني فأستحيي أن أرده ويعصيني ولا يستحي مني » .

وما أجمل قول العبد الصالح يحيى بن معاذ : « من استحي من اللَّه مطيعًا استحيا اللَّه منه وهو مذنب »[2].

إن من يفعل الفواحش سرًا حين يخلو بسره غير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه شاهداه وربه ذو الجلال

أخي : إذا غاب عقلك وغلبت شهوتك واقترب الذنب

---

(١) البخاري ١١/١٢، وأحمد في الزهد ص ٤٦ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/٢٧٠- ٢٧١.

وسكر القلب . فتذكر : أن اللَّه معك يراك وينظر إليك . إذا غاب الرقيب ، وفقد الشهيد ، ونامت العيون . فتذكر : أن اللَّه معك يراك وينظر إليك .

ثالثًا : غياب القدوة الصالحة :

إن غياب هذه القدوة من أهم العوامل التي أدت إلى شيوع هذه الظاهرة فضلًا عن غيرها مما يؤسف له .

ولقد ظهرت دراسة اجتماعية عن مباحث القاهرة ، اتهمت أحد اللقاءات التليفزيونية مع بعض الفنانات والراقصات بأنه السبب في هروب الفتيات الصغيرات من منازلهن ، وألمحت الدراسة التي أعدتها الباحثة « عطيات صالح » إلى أن ٧٪ من الهاربات أكدن أن حديث إحدى الراقصات وقصة هروبها من الأسرة واحترافها الرقص وتحقيقها للشهرة ، كل ذلك كان الدافع الأساسي للهروب ؛ لأن الصغيرات اتخذن من هذه الراقصة قدوة لهن[١] .

فمَن قدوتك أيها الشباب ... أيتها الفتاة ؟

---

(١) « حريتي » ٢/٨/١٩٩٨م .

ورد أن عبد اللّه بن عامر دعته أُمه يومًا والرسول حاضر، فقالت له : تعال أعطك ، فقال لها عليه السلام : « وما أردت أن تعطيه ؟ » قالت : تمرًا ، فقال لها عليه السلام : « أَمَا إنك إن لم تعطه شيئًا كُتبت عليك كذبة »[1] .

والأب المدخن : كيف يرجو لولده الابتعاد عن التدخين ؟

الأم المترجلة : لماذا تحزن عندما تبلغ بزواج ابنتها عرفيًا ، أليست هي التربة التي مهدت لذلك الزرع ؟

وصدق الشاعر :

وليس النبت ينبت في جنان　　كمثل النبت ينبت في الفلاة

وهل يرجى لأطفال كمال　　إذا ارتضعوا ثدي الناقصات ؟

---

(١) حسن . أخرجه أبو داود (٤٩٩١) ، وأحمد (٣/٤٤٧) ، وأخرجه ابن أبي شيبة (٨/٥٩٣) ، والبخاري في التاريخ (٥/١١) ، والبيهقي في السنن (١٠/١٩٨) عن عبد الله بن عامر ، وإسناده ضعيف ؛ لجهالة مولى عبد الله بن عامر ، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد (٢/٤٥٢) ، وإسناده منقطع ، وذكر العراقي في تخريج الإحياء (٣/٣٥) أن له شاهدًا من حديث ابن مسعود ، وأن رجاله ثقات ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣/٩٤٣) ، وانظر الصحيحة له (٧٤٨) .

أفلا نتأسى بالأستاذ سيد قطب وهو يدرس في أمريكا حينما أتته فتاة عارضة نفسها عليه ، فما كان منه إلا أن نهرها وألقاها خارج حجرته[1] .

أفلا نتأسى بالربيع بن خثيم (أحد الصالحين) عندما رأى امرأة جميلة تعرض عليه حبها وتبغي منه الفاحشة ... بكى ... فلما سألته عن سبب بكائه ، قال : أبكي لهذا الجمال يسلك بك سبيل الضلال فنرى في جهنم هذا الوجه الجميل وقد صار فحمة متفحمة[2] .

« إن غياب هذه القدوات عن واقعنا المعاصر أثمر زرعًا مشوهًا ، وجيلًا مضطربًا »[3] .

رابعًا : سوء التربية وانشغال الأب وغفلة الأم :

في واقعنا المعاصر العديد من المآسي الاجتماعية مرجعها في الأساس إلى تخلي الأسرة عن وظيفتها التي خُلقت من أجلها ، فلقد أصبحت الأسرة اليوم – إلا النادر – مكانًا للتعليم فقط لا

---

(١) مواقف إيمانية : أحمد فريد ص ٨.

(٢) أبطال ومواقف : أحمد فرج عقيلان ص١٧٦، ١٧٧.

(٣) سيصدر للمؤلف – إن شاء الله – بحث مستقل عن القدوة وأثرها في حياتنا .

للتربية ، فمن المألوف أن تجد في كل بيت مدرسة في كافة التخصصات تعلم الأولاد .

وقديما قال الأديب الأيرلندي (برناردشو) : « إذا كان آدم يحرث وحواء تحرث فمن يربي الأبناء ؟ » .

ويقول شوقي :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هـمّ الحيـاة وخـلّـفـاه ذليـلا
إن اليـتـيـم الـذي يـلـقـى لـه أُمًّا تـخـلـت وأبًا مـشـغـولا

« إن كثيرًا من أجيال المسلمين اليوم لم يجدوا في والديهم إلا الحنان المحض أو الإهمال اللامبالي من أجل ذلك تجد في صفات كثير من مسلمي اليوم الميوعة والضعف والانهزامية واللامبالاة »[1] .

ومن الأمثال الذائعة : « من شبّ على شيء شاب عليه » .

أفلا نعتبر بحديث النبي عليه الصلاة والسلام : « إن اللَّه سائل كل راعٍ عما استرعاه ؛ أحفظ ذلك أم ضيعه »[2] .

(١) عودة الحجاب ٢/ ٣٨١، نقلًا عن نظرات في الأسرة المسلمة للدكتور محمد الصباح .

(٢) صحيح . أخرجه النسائي في عِشرة النساء (٢٩٢) ، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٣٥) ، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٠٧) ، وذكره المزي في =

إن اللَّه سائلك أيها الأب .. أيتها الأم عن الرعية التي اؤتمنتم عليها أحفظتم ذلك أم ضيعتموه ؟ ألا تعتبرون بوصية عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده : « علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة وَوَقِّرهم في العلانية وأنِّبْهم في السر » .

هلا فعلنا ذلك قبل أن نندم وقت لا ينفع فيه الندم ويكون حالنا كحال القائل لصاحبه :

أتبكي على لبنى وأنت قتلتها وقد ذهبت لبنى فما أنت صانع ؟

يقول شيخ الأزهر الراحل : محمد الخضر حسين : « أيها الكفيل ، إذا ألقيت مسئولية الطفل في مراتع وخيمة أخشى أن يضاعف لك العذاب ضعفين »[1] .

ويقول أحد الصحابة : بلغنا أن الولد يتعلق برقبة أبيه يوم القيامة ويقول : يا رب ، خذ لي حقي من هذا الذي ظلمني ،

= تحفة الأشراف (١٣٨٧) عن قتادة عن أنس ، وصححه ابن حبان (٤٤٩٢) ، والضياء المقدسي ، والحافظ ابن حجر كما في الفتح (١٣/١١٣) . وله شاهد من حديث أبي هريرة في الصحيحين : البخاري (٣٤٥٥) ، ومسلم (١٨٤٢) ، وشاهد أيضًا من حديث ابن عمر عند عبد الرزاق (١١/٣١٩) برقم (٢٠٦٥٠) .

(١) السعادة العظمى ص ٩٠.

فيتعجب أبوه ، يا بني ، كيف ظلمتك وقد أعطيتك المال والحنان والكسوة ؟ فيقول : كنت تراني على المعصية ولا تنهاني .

وفي عصرنا الحديث قدمت وزيرة الاستهلاك البريطانية « سالي أوبنهايم » ذات الواحد والخمسين عامًا استقالتها لرئيسة الوزراء مارجرت تاتشر ، ومن بين ما قالته في أسباب هذه الاستقالة : « إن مسئوليتي إزاء أطفالي الثلاثة فوق طاقتي » .

هذا يحدث مع أن زوجها مليونير ، وهي نائبة في البرلمان منذ عام ١٩٧٠ لكنها تضحي بمنصبها في سبيل تربية أولادها .

فالأسرة هي الخلية الحيوية الأساسية التي يتكون منها جسم المجتمع البشري ، فلو صلحت صلح المجتمع كله ، وإذا فسدت فسد المجتمع كله ، بل هي أمة صغيرة ، فلا أمة راشدة بلا أسرة قويمة ، بل لا آدمية حيث لا أسرة .

وتقول إحدى الساقطات : « أرجوك لا تقل لي أين والدك ؟ أين أمك ؟ الكل مشغول بدعوى توفير لقمة العيش ، ولا أحد يعلم ما أفعله داخل البيت فضلًا عن خارجه » .

فهيا أيها الأب ، هيا أيتها الأم ، لنفرغ جزءًا من وقتنا ، وشيئًا

من جهدنا لأبنائنا وبناتنا ، فهي أرضنا التي نزرعها ، فطبتم وطاب مسعاكم مادمتم زارعين الخير ، وباذلين المعروف .

وبشراكم بحديث النبي عليه السلام : « من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار »[1] .

فأحسنوا إلى بناتكم وأولادكم ، وتأملوا قوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] .

خامسًا : الصحبة الفاسدة :

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان : ٢٧- ٢٩] . ويقول ﷺ : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »[2] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٤١٨) ، ومسلم (٢٦٢٩) عن عائشة .

(٢) أخرجه الطيالسي (٢٥٧٣) ، ومن طريقه عبد بن حميد (١٤٣١) ، وأبو داود (٤٨٣٣) ، والترمذي (٢٣٧٨) ، وأخرجه أحمد (٢/٣٠٣) ، (٢/٣٣٥) ، والحاكم (٤/١٧١) عن أبي هريرة ، وقال الترمذي : حسن غريب . وانظر =

ويقول الشاعر :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

فللصحبة الصالحة آثار لا تنكر ، وللصداقة الفاسدة أضرار لا تخفى .

فكم من شاب أراد التوبة فردته صحبة السوء عن مراده
وكم من فتاة أرادت الخير فنهتها صحبة الشر عن فعله

ولنتدبر معًا بعض ما في واقعنا من آلام وهموم : « تقول : أتيت من الخارج وسافر أبواي وتركاني عند خالتي المشغولة بأولادها فلم أجد أحدًا أمامي إلا الأصدقاء وكانوا صحبة سوء ، وفي النهاية فقدت أغلى ما أملك ، ولوثت سمعتي »[1] .

إن للصديق تأثير لا يخفى ، لهذا كان كثيرًا ما يقول عمر بن الخطاب لأصدقائه : « أنتم زينة في الرخاء ، وعدة في البلاء » .

ولنتأمل دعوات نبي اللَّه موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ

= الصحيحة للألباني (٩٢٧) .

(١) احذروا الفساد السري : عبد الخالق الشريف .

لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه : ٢٥- ٣٤] .

هذا رسول من أولي العزم من الرسل ويحتاج لمن يعينه على الخير ، فما البال بنا ؟ هلا بحثنا عن صديق ذي عقل راجح ودين متين وخلق حسن .

ولنتدبر هذين المثالين جيدًا :

المثال الأول : كانت هناك صداقة حميمة بين رأس الكفر أبي جهل وعقبة بن أبي معيط ، وبعدما سمعا القرآن من النبي ﷺ ليلًا انشرح صدر (عقبة) للإسلام وهمّ أن يسلم ، فما إن علم صديقه (أبو جهل) حتى عاتبه وأنبه ، فطمأنه (عقبة) ، وقال : لا والله لن أدخل في دين محمد أبدًا وأترك صحبتك .

فماذا كانت النتيجة ؟ قُتل يوم بدر ، ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ [القلم : ٣٣] .

وحقًّا ما أجمل قول داود عليه السلام : « نعوذ بالله من

صاحب إن أنت ذكرت اللَّه لم يعنك ، وإن أنت نسيت لم يذكرك »[1] .

المثال الثاني : جمعت صداقة وطيدة بين عياش بن أبي ربيعة وعمر بن الخطاب ، وأقسمت أم عياش ألا تقف تحت ظل ولا تغتسل حتى يرجع ولدها عن دين محمد عليه السلام .

فرّق عياش لأمه فماذا فعل صديقه الصالح ابن الخطاب ؟ قال له : يا أخي ، إن وقفت أمك يومًا في الحر فستقف في الظل غدًا فلا تقلق . فماذا كانت النتيجة ؟ صحابي جليل القدر عالي المنزلة .

تقول إحدى الكسيرات البائسات : « كانت لي صديقة أحببتها بكل جوارحي ووثقت بها ثقة عمياء وكانت تعرف الكثير من الأولاد معرفة بريئة في الظاهر لا تعدو السؤال عن الصحة والمذاكرة ، وتطور الأمر وصرنا نخرج في رحلات جماعية حيث الضحك والمرح واللهو ، وشيئًا فشيئًا اقتربت من شاب تعرفت عليه من خلال صديقتي التي طمأنتني وأخبرتني بخلقه القويم

(١) للصحبة وآثارها وأنواعها بحث مستقل للمؤلف يصدر قريبًا إن شاء الله .

وأدبه العالي ، واستمرت علاقتي بذلك الشاب ما بين شكوى له من سوء معاملة أمي لأبي وسلبية أبي تجاهها وغفلة الجميع عني ، وما بين طلب للنصيحة في المذاكرة ... وهكذا ، حتى سلمت له نفسي ، وحدث ما حدث ، فماذا أصنع ؟ أريد الانتقام لشرفي ، ولكن ممن ؟ أمن أبي الذي شغل عني ؟ أم من أمي التي لا تدري عني شيئًا ؟ أم من صديقتي التي عرفتني بهذا الذئب وعلمتني ما لم أكن أعلم وأرتني ما لم أر في حياتي ؟ ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع ؟ ؟ » .

فهل نتعظ أيها الأبناء ، وندقق جيدًا فيمن نختاره لصحبتنا كي نزداد من اللَّه قربًا ، ومن الشيطان بعدًا ، وما أحسن قول القائل :

« لو لم يصب المرء من صديقه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفى » .

سادسًا : الفراغ القاتل :

إن النفس البشرية كالمملكة الواسعة تحتاج لقائد يسيطر عليها .

والقائد هنا هو القلب ، وجنوده الجوارح ، فما يفكر فيه القائد

ويؤمن به ، يأمر جنوده بتنفيذه فيتحركون لأمره ، فبأي شيء يأمر القلب الفارغ جنوده ؟

حقًّا « الفراغ للرجل غفلة »[1].

وقال ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ »[2].

فشباب اليوم يعاني من فراغ عظيم على كل المستويات ، ولنتأمل فهناك :

١- فراغ عقلي :

ماذا في عقلك أيها الشاب ، أيتها الفتاة ؟ إنه لأمر محزن يثير الأسى ويبعث الحزن ، ويكاد يصدق في شبابنا المثل القائل : « أرى أمامي أجسادًا كالبغال ، وعقولًا كالعصافير » . وصدق عمر بن الخطاب عندما قال : « أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، ومروءته خلقه »[3].

---

(١) فيض القدير للمناوي ٢/ ٢٩٠.

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٦٤١٢) عن ابن عباس .

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١٩.

فتش عما في عقول أبنائنا أيها الأب الناصح والداعية الصادق ماذا تجد ؟ تجد الكثير من أخبار الموضة ، والأفلام ، وأحوال الفنانين ، وحياة الفنانات ، وأسماء المشاهير من اللاعبين والنجوم وأخبار المحمول ونغماته وأنواعه ... أهذا مما يربي العقل ، ويوسع الأفق ؟

أهذه علوم تزين العقل وتجعله جديرًا بالتطلع لآفاق التقدم في عصرنا الحديث ؟ فشبابنا اليوم - إلا القليل - بلا قضية ، لذلك عندما يحب يتحول ذلك الحب إلى قضية يحيا لها ولا يتصور الحياة بدونها ، وما ذاك إلا لفراغ عقله وضعف تفكيره .

٢- فراغ قلبي :

إن القلب وعاء الإيمان ، كما أنه وعاء الهوى ، وهو - كما سبق - ملك الجوارح ، وقائدها ، فلو صلح صلحت ، ولو فسد فسدت .

لهذا كانت وصية أحد الصالحين لولده : « انظر ماذا خالط قلبك ؟ » .

انظر ماذا خالطه من الآراء والخواطر والصور والأهواء ؟

يقول ابن القيم : « للقلب ستة مواطن يجول فيها : ثلاثة

سافلة ، وثلاثة عالية » .

فالسافلة : دنيا تتزين له ، ونفس تحدثه ، وعدو يوسوس له ، والعالية : علم يتبين له ، وعقل يرشده ، وإله يعبده »[1] .

وانظروا للمرأة الصالحة بماذا عمرت قلبها ؟ تقول : « إنما هي أيام فما فاته اليوم شيء لم يدركه غدًا ، ووالله لأعمرنَّ قلبي بطاعة ربي ولأطيعنه ما أقلتني جوارحي »[2] .

« والله ما أحب أن يأتي عليَّ وقت وقلبي مشغول فيه عن الله بشيء غير الله » .

٣- فراغ نفسي :

فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وصدق ربنا سبحانه : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠] .

ويقول عمر بن الخطاب : « إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللا « فارغا » لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة »[3] .

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٩٩.
(٢) بتصرف من أعلام النساء لكحالة ٢/ ٧٠.
(٣) قيمة الزمن عند المسلمين : عبد الفتاح أبو غدة ص ٦٨، دار القلم .

قال أفلاطون : العشق حركة النفس الفارغة .

ويقول أرسطو : العشق جهل عارض صادف نفسًا خالية لا شغل لها .

ومما قرأناه بأسف : امرأة تحكي : أتتني معاكسة تليفونية رفضت الرد عليها مرات ، ولتكرارها قلت لا شيء يشغلني فلأستمع لصاحب هذه المعاكسة ، ومرة تتلوها الأخرى وزوجي عني غائب ازدادت علاقتي بمن يحادثني حتى أتى ليزورني في شقتي ، واكتشف أمري بعد أن أجلبت العار لأهلي والفضيحة لنفسي[1] .

« لقد لعب الفراغ النفسي العاطفي دوره إضافة إلى ما أسمعه من أغانٍ ، وما أشاهده من أفلام ، وما في ذلك كله من تشجيع على الحب والهيام والغرام ، ماذا أصنع وأنا لديّ هذا الفراغ ؟ لا شيء إلا مجاراة الشباب ...»[2] .

---

(١) مجلة الأسرة العدد ١٧: ٩/٢/١٩٩٤م .

(٢) المعاكسات الهاتفية من التسلية إلى الزنى : عصام محمد الشريف ص١٦ دار الصفوة .

وبعـد :

إن وقتنا – أيها الأبناء – أمانة سنسأل عنها أمام اللَّه سبحانه مصداقًا لقوله ﷺ : « لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ...» منها : « عن عمره فيم أفناه ؟ »[١] .

ألا نقتدي بالعبد الصالح في قوله : « إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، فإذا تعطل لساني عن مذاكرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري وأدرت ذهني »[٢] .

فالوقت أوان الزرع ، وهو عمرنا الحقيقي ، لهذا جاء في بروتوكولات سفهاء صهيون : « لابد أن نلهي الناس بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات الفراغ »[٣] .

ماذا ستقول لربك وأنت واقف بين يديه ويسألك عن عمرك ووقتك ؟ بماذا ستجيب عبد الله ؟ أي ضياع هذا ؟!

---

(١) حسن . أخرجه الترمذي (٥٣٧) عن أبي برزة ، وأخرجه الدارمي (٥٥٤) وإسناده حسن ، وفي الباب عن معاذ (٥٥٦) موقوفًا أخرجه الدارمي ، وانظر الصحيحة (٩٤٦) للألباني .

(٢) القائل هو الإمام النحوي ابن عقيل الحنبلي . انظر : ذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٤٦.

(٣) البروتوكول ١٣ ط التونسي والعقاد .

تسكع في الطرقات بالساعات ، ومحادثات نصف الليل عبر الهاتف في غفلة الوالدين ، وهروب من قاعات الدرس للتجول مع المحبوب وسماع الكلام المعسول ، وقضاء الليالي في الحفلات الصاخبة ، هل من أمانة الوقت أن نضيعه في أوهام وأحلام لا رصيد لها في الواقع والجري وراء سراب موهوم وخداع زائف يسمونه كذبًا « الحب » ؟

يحكي أحد الشباب لي ما يدمي القلب ويحزن النفس ، يقول : « دعيت لحفلة عيد ميلاد زميلة لي فذهبت ومعي بعض الزملاء وقدمنا لها هديتها مصحوبة بالقبلات ، وبعد منتصف الليل بقليل دعتني أم هذه الزميلة للرقص في حرية مع ابنتها !! فصنعت ما أريد إلا الفاحشة الكبرى ، وأريد الآن أن أتوب ...» .

أيها الابن ، ألا تتدبر قول العبد الصالح : « ابعث إلى صندوق قبرك ما يسرك يوم الوصول إليه » .

وقول محمد ابن الحنفية : « إن أبدانكم هذه ليس لها أثمان إلا الجنة ، فلا تبيعوها إلا بها » .

أهذا وقت أناس يطمعون في الجنة ، ما الأمارة ؟ كم فرغنا من

وقتنا لله ؟ كم أمتنا من وساوس الشياطين ؟ كم أضعنا من أوقات في معاصٍ وآثام ؟

أَوَ ما وصلتكم رسالة الحسن البصري : « إن الملائكة يعملون لبني آدم في الجنان يغرسون ويبنون فربما أمسكوا فيقال لهم : لماذا أمسكتم ؟ فيقولون : حتى تأتينا النفقات فابعثوهم على العمل بأبي أنتم وأمي » ابعثوهم على العمل بشغل وقت الفراغ فيما يرضي ربكم وينمي عقولكم ، ويهذب مشاعركم ، فلا يتحسر أهل الجنة على شيء إلا ساعة مرت بهم لم يذكروا اللَّه فيها »[1] .

فهنيئًا لمن شغل وقته بالخيرات ، ويا خسارة من كانت تجارته المعصية والذنوب .

سابعًا : المثيرات الخارجية من أفلام ومسلسلات وأغانٍ تشجع على الرذيلة وتدفع للهيام والتعلق بالمحبوب ومن تبرج

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٢/٢٠) ، وفي مسند الشاميين (٤٤٦) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣) عن معاذ ، والبيهقي في الشعب (٣٩٢/١) بأسانيد قال المنذري في الترغيب (٢٠٩/٣) : أحدها جيد وله شاهد من حديث عائشة عند أبي نعيم في الحلية (٣٦٢/٥) . قال أبو نعيم : سنده غريب .

للنساء وتعرٍ فاضح .

والناظر المتأمل لا يجد عناءً كبيرًا في حصر الكلمات ، فضلًا عن المشاهد التي تدفع الشاب دفعًا للتفكير في هذا الأمر ، وكذلك الفتاة .

فماذا يفعل الشاب والفتاة وهما يسمعان : نار يا حبيبي نار ، نار نار قلبي مولع نار ... وغير ذلك كثير مما يستلزم وقفة من أولي الأمر لبث ما هو نافع لشبابنا وفتياتنا ، وما هو أجدى للوطن والأمة .

بل لقد صدق المنصّر الأمريكي « بيارد دودج » عندما قال : « يلوح لي أن هوليود قد أثرت في الجيل الحاضر من المسلمين أكثر من تأثير مدارسهم الدينية »[1] .

بل لقد صرخ بعضهم مستنكرًا : « إن الآلاف من فتياتنا يقدمن أنفسهن على مذبح الإباحية في أفلام وتمثيليات ومسارح »[2] .

---

(١) الإسلام في نظر الغرب ص ٢.

(٢) مناهج الفلسفة : وول ديورانت ١/ ١٢٧.

ولنتأمل هذه الإحصائية :

* أجريت دراسة على خمسمائة فيلم ، فوجدوا أن ٧٢٪ منها يتحدث عن « الحب والجريمة والجنس » .

* وفي دراسة أمريكية أظهرت أن ٢٩,٦٪ من أفلام الأطفال يتحدث عن الحب بمفهومه الشهواني الخاطئ[1] .

* أما عن تبرج النساء وتكشفهن إلى حد العري أحيانًا فحدّث ولا حرج ، وأسوق هنا قول الشاعر مستنكرًا ما عليه حال غالب النساء اليوم :

لحد الركبتين تشمرينا بربك أي نهر تعبرينا ؟
كأن الثوب ظل في صباح يزيد تقلصًا حينا فحينا
تظنين الرجال بلا شعور لأنك ربما لا تشعرينا[2]

ثامنًا : الاختلاط غير المنضبط مع الثقة الزائدة في الفتى والفتاة ، فيترك لهما الحبل على الغارب بلا قيد ولا حساب ولا سؤال .

---

(١) فتياتنا بين التغريب والعفاف ص٣٤ : د/ ناصر سليمان العمر .
(٢) فتياتنا بين التغريب ص٢٥ .

تقول الصحفية الأمريكية « هيليان ستانسيرى » عندما زارت القاهرة وأعجبت بإقبال النساء على الإسلام : « لقد عانينا كثيرًا من الاختلاط فضحاياه يملأون السجون والأرصفة ، إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا جعلت منهم عصابات أحداث ومخدرات ورقيق »[1].

والأمر كما يقول أحد الباحثين : « إن الفصل بين الجنسين علاج لكثير من المشكلات الأخلاقية والاجتماعية ...»[2].

وتحت ظلال الاختلاط المفتوح خرجت نساء السويد احتجاجًا على إطلاق الحريات الجنسية[3].

ومما لا شك فيه أن دوام الاختلاط بلا ضابط ولا حد كما هو مشاهد في كثير من نوادينا وجامعاتنا اليوم أمر يؤدي للكثير من الشرور ولنعتبر بما جناه الاختلاط على أهله الذين يروجون له ، ففي بعض المدن الأمريكية بلغت نسبة التلميذات الحوامل من

(١) مراهقة بلا أزمة ٢/ ٢١٢.

(٢) قواعد البناء في المجتمع الإسلامي ص ١٠٩ : دكتور محمد السيد الوكيل .

(٣) مركز المرأة في الحياة الإسلامية : دكتور يوسف القرضاوي ص ٦٣.

الزنى في المدارس والجامعات ٤٨٪، وهناك آلاف من الأطفال ولدوا بصورة غير شرعية ، لهذا تقول الطبيبة الغربية « ماريون هيليارد » : إني لا أستطيع أن أسلم كامرأة وكطبيبة بأن العلاقات الطاهرة ممكنة بين رجل وامرأة ينفردان برضاهما وقتًا طويلًا »[١] .

وفي سنة ٩٨ قُدِّمَتْ مذكرة لوزير الدفاع الأمريكي تحذر من خطورة الاختلاط في صفوف القوات الأمريكية[٢] .

ولا نغتر بقول البعض بأن الاختلاط ليس ثنائيًا بل جماعيًا ، هذا الكلام مكر واستدراج ، فالجماعة ينبثق منها الثنائيات ... وهذا خطر أكيد ، ومنكر عظيم .

❊ ❊ ❊

---

(١) الشباب والحب والغريزة : نبيل حامد المعاز ص ٢١.

(٢) الشباب والحب والغريزة : نبيل حامد المعاز ص ٢١.

الباب الرابع

العواقب والآثار المترتبة على هذه العلاقة

إن المشاهد المتدبر لما يحدث بين الفتية والفتيات من علاقات (قبل الزواج) ، وما فيها من مشاعر خادعة ، وفهم مغلوط لعاطفة الحب لا يمكنه أن يخطئ أبدًا العواقب التي تثمرها مثل هذه العلاقات ، والآثار التي تتركها على الجميع .

وسأذكر بعض هذه العواقب - دون استقصاء وتفصيل - لأن الهدف هو الإشارة إلى دنو وخطورة هذه العلاقات ، والتنبيه على ضرورة علاجها وتقويمها ، فمن ذلك :

١ - **الصد عن الحق والنفور منه :** فالمحب عندما يُوعظ بما فيه خيره ونفعه لا يستجيب ؛ لأن هواه غالب ، وكما قيل : حبك الشيء يعمي ويصم (يعمي العين عن الحق ويصم الأذن عن النصح) .

٢ - **ظلام القلب وسواده :** فالقلب لم يعد يعرف معروفًا فيلتزمه ولا ينكر منكرًا فيبتعد عنه ، ومن أعظم البلاء ارتكاب

معصية لا يصبر المرء عنها ، كما قال الشاعر :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

٣- **دنو الغاية وحقارة الهدف** : أيها الأبناء ، إن هناك سؤالًا له أهميته وضرورته ، وهو : ما الغاية التي تسعون إليها ؟ ما أهدافكم التي تتمنون تحقيقها ؟ أهي قبلة خاطفة ؟ أم حديث منكر فيه ميوعة ولين لا يتفق مع مُثُل الدين وتعاليمه ؟ أم عناق خاطف وقُبلة طائرة ؟ أم نظرات خائنة تعقبها حسرات ؟ أم مكالمات تطول وتقصر بالتليفون ؟ مكالمات تتلوها خواطر وذكريات .

أيها الأبناء : إن أغلى ما في العمر هو وقت الشباب ؛ لأن الطفولة صحة بلا عقل ، والكهولة حكمة بلا صحة ، والشباب صحة موفورة ، وعقل ناضج .

أفلا نتدبر الغاية التي تليق بنا ؟ أفلا نحسن اختيار أهدافنا التي نبغي من ورائها السعادة والخير ؟

أهناك غاية أسمى من طاعة ربكم وإيثار مرضاته على مرضاة هواكم ؟ أهناك غاية أسمى من ترديدكم مع العبد الصالح : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ [طه : ٨٤] ؟ فبم عجلنا أيها

الأبناء ؟ أبخيانة الوالدين ؟ أم بفعل السوء ؟ أم بشغل القلب بما يعكره ويصده عن الحق ؟

وما أصدق القائل : إن كل عقل لا يصحبه ثلاثة أشياء فهو عقل مخادع : إيثار الطاعة على المعصية ، والعلم على الجهل ، والدين على الدنيا[1] .

٤ - **عذاب القلب وشغله بمن يحب** : ولا يخفى ما في هذا من صدٍ عن ذكر اللَّه والانشغال به .

فالقلب ما لم يكن باللَّه مرتبطًا فـإنمـا هـو بـالأهـواء جـواب

٥- **ضياع الوقت فيما لا يفيد** : فأعظم الإضاعة إضاعة القلب ، وإضاعة الوقت .

٦- **العمى عن العيوب** ، وكما قيل : الحب أعمى .

وعين المحب عن كل عيب كليلة وعين السخط تبدي المساويا

٧- **ضياع المال وتبديده فيما لا يحل** : ومما شاهدناه وعرفناه بأسف قيام البعض بسرقة المال - ولذلك سبل - للإنفاق على

---

(١) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي ص ٩٧.

السهرات الخاصة مع المحبوب ، وما يستلزم ذلك من أزياء لا تليق وخلوة لا تنبغي .

٨- **سخط الله وغضبه** : لما فيها من معاداة أوامره وارتكاب نواهيه من كلام لا يجوز ، وحركات لا تنبغي ، ونظرات محرمة . وخلوة غير مشروعة ، وخيانة للوالدين ، وتدمير لقيم المجتمع ... إلخ .

ولله در القائل : مِن أمارات الشقاء بدن معطل عن طاعة اللّٰه ، ووقت معطل عن الخير ، وفكر يجول فيما لا ينفع .

٩- **تلويث السمعة وضياع العرض** : ولكي أدلل على هذه النقطة الخطيرة أرجو منك أخي القارئ أن تستمع بقلبك قبل أذنك ، وأن تفكر جيدًا فيما سأقصه عليك من مآسٍ وأوجاع ، وحكايات وفجائع ، وليس مرادي الاستقصاء ، بل الإشارة بالقليل للاعتبار والاتعاظ .

ولننظر أيها الأبناء ماذا جنت هذه العلاقات على أصحابها ؟ ماذا كانت الثمرة عند الكثير ممن يعيشون هذه العلاقات ؟

* فتاة تحرق نفسها لتخلي حبيبها عنها .

* شاب وفتاة ينتحران بالرصاص لرفض الأهل زواجهما .

* طيار مغربي ينتحر بطائرته لوجود زوج محبوبته على الطائرة !! وما ذنب الركاب ؟ حقًّا إن العشق فرع من الجنون .

* أب يقتل ابنته مع عشيقها تخلصًا من العار .

* فتاة تضع السم لزوجها قبل الزفاف بيوم واحد لتتمكن من الزواج بمَن تحب[1] .

* يخادعها بالحديث الجميل ، والكلام المعسول ، وأنه يغار عليها ، وهي كأخته تمامًا ، ثم يتبادل معها الصور ، وبحيل شيطانية يركب وجهها على أجساد فاضحة ويهددها بهذه الصور إن لم تمتثل لرغباته وشهواته ، والنتيجة ضياع الشرف والسمعة والعرض .

* يستدرجها بخطوات تكاد تكون شائعة من حلو الكلام ، وجميل الحديث حتى تقع في شباكه ، ومن البلاء المضاعف أنه قام بتأجير محبوبته لراغبي المتعة ، ولما رفضت هددها بما معه من

(١) خدعوك فقالوا إنه الحب ، محمد عبد العزيز ص ٢٥، ٢٨ بتصرف .

صور ، وتسأل الفتاة الضائعة : ماذا أفعل ؟

* أعاني من صرع ؛ لأنه خدعني بعدما حملت منه حرامًا وأجهضت نفسي ، لهذا أنا أكره كل رجل .

* أُم تقتل ولدها ؛ لأنه رأها مع حبيب قلبها في غياب الأب[1] .

* يحكي أحدهم : كنا ثلاثة نفسق ونمرح ونلهو معًا ، وفي إحدى الليالي أرسلنا أحدنا لشراء العشاء وما نحتاجه في سهرتنا ، فانقلبت به السيارة ، فأدركناه وهو يقول : آه ... النار ... النار ، ثم أخذ صوته يعلو : ماذا أقول له ... ماذا أقول له ... قلت له : مَن تقصد ؟ قال : اللَّه ... اللَّه[2] .

أفلا نتدبر ؟ أفلا نتعظ ؟ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] .

* ومما يدمي القلب ، ويكسر النفس ، ويحير العقل ، ما طالعتنا به صحف القاهرة في الأسبوع الأول من ديسمبر سنة ٢٠٠٢م من : رجل سافر للخارج وترك ابنته وزوجته ، وأرادت

(١) الأهرام القاهرية الرابع من شعبان سنة ١٤٢٣هـ - العاشر من أكتوبر سنة ٢٠٠٢م .
(٢) ما المانع من الحجاب : عبد الحميد البلالي ص ٣٦، ٣٧.

الأُم أن تقوي ابنتها في بعض المواد ، فأتت بمن يعطيها درسًا خاصًا ، ومرة تلو المرة حدث ما لا يُحمد عقباه بين الأُم ومدرس ابنتها ، وكانت الصاعقة أن البنت رأت هذا ، فتجردت الأم من مشاعرها ودبرت حيلة لكي تقع ابنتها في المنكر مثلما وقعت هي ، ومع نفس الشخص .

وسمع الجيران ما سمعوا ، والمسكين مشغول في الخارج بلقمة العيش ، وما إن أتى إلا وثأر لشرفه فقتل الثلاثة ؛ من خان شرف المهنة ، وسمو الرسالة التي ائتمنه اللَّه عليها ، ومن ضيعت أمومتها بل وفلذة كبدها على مذبح الشيطان ونهج إبليس ، والبنت التي ضاعت ضحية الإهمال والخيانة .

أيها الآباء ، رحماكم بأبنائكم ، الحذر الحذر ... واليقظة اليقظة ، أنتم تربون عقولًا لا أجسادًا ، فهلا تعلمتم وعرفتم معنى وهدف تربية العقول ؟

أليس ديننا شرعة الواقع ، ودين الحق عندما صرح نبينا في وضوح : « ألا لا يخلون رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما »[1] .

---

(١) صحيح . أخرجه الترمذي (٢١٦٥) ، وقال : حسن صحيح ، عن عمر بن =

* قتلته لأنه سلب شرفي بعد أن خدعني بعبارات الحب والغرام[1] .

* كان الأمر لا يعدو أن يكون زمالة بريئة ، ثم تطور حتى صار بيننا اتصال يومي ، ثم ازدادت العلاقة فلا أطيق مرور يوم دون رؤيته ، ومن أجله كنت أترك مدرستي ، وأحيانًا أهرب منها ، ونلتقي في الكافتريا مرة ، وفي النادي أخرى ، وهكذا .. وهو يعدني بالزواج ، حتى سلمت له نفسي ، وتركني ... ماذا أصنع ، فأنا في حكم المقتولة ، ولكن مَن قتلني ؟

* قتلني أبي حين أهمل تربيتي ومتابعتي .

* قتلتني أمي حين أهملتني وتركتني للهاتف والأحلام والمجلات دون أن تفتح صدرها لي يومًا ولو بسؤال عابر .

* قتلتني صحبة السوء ورفيقات الشر .

= الخطاب ، وأخرجه النسائي في الكبرى (٩٢٢٥) ، وأحمد (١٨/١) ، وأبو يعلى (١٤٣) ، وصححه ابن حبان (٤٥٧٦) ، والحاكم (١/١١٤- ١١٥) وقال : على شرط الشيخين .

(١) سراب الحب : محمد بن صالح ص ٣١.

إني أكرههم جميعًا وأتمني أن يُحرموا من السعادة في الدنيا كما حرمتها أنا ، بل ومن السعادة في الآخرة[1] .

* وأخرى لوثت سمعتها ، وسرقت من مال أبيها ؛ لتنفق منه على حبيب قلبها ، وتقول : أريد حلًا مع هذا الحبيب ؟

إنه لأمر يحار فيه اللبيب ؛ أي حل تريدين أيتها الفتاة ؟ أي حل ونحن نبذنا كلام اللَّه لنا وراء ظهورنا ، أَوَلم يرشدنا بقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ [الإسراء: ٣٢] ؟ أي حل ؟ ولمن نقدمه أختاه ؟ ألآباء غفل عن أبنائهم ؟ أم لأمهات اللَّه أعلم بما يشغلهن ؟ أم لأغانٍ وأفلام وعري وأصدقاء سوءٍ ؟

* وتحكي مديرة مدرسة : لفت نظري دوام تأخر طالبات بعينهن ، فتابعتهن ، فكانت المفاجأة ؛ الخروج في الصباح الباكر مع حبيب القلب في غفلة المدرسة وانشغال من الأسرة .

أية جرأة هذه ؟ وأي استغفال هذا للوالدين ؟ الصورة خروج مبكر للدراسة ، والحقيقة استعداد وترتيب للقاء حبيب القلب على

---

(١) سراب الحب : محمد بن صالح ص ٣٠.

مائدة الشيطان ومسرح الغواية والشر .

* وتقول أخرى : « ارتبطت معه بعلاقة عاطفية لمدة طويلة ، ثم جاءتني الصدمة عندما تركني وخطب إحدى قريباته ، فما كان مني إلا رحبت بالزواج العرفي من شاب آخر لأخمد جراحي ، وبعد شهرين كان طفله في بطني ، وعندما واجهته تنكر لي ومزق ورقة هذا الزواج ، فذهبت للإجهاض ، وصعقت عندما عرفت أنه كان يحكي ما يحدث بيني وبينه لأصحابه لحظة بلحظة ، فأنا الآن في انهيار وندم »[1] .

● وأسوق هنا أخيرًا القصة التي هزت أركان المجتمع المصري : طالبة في المرحلة الثانوية ، عاشت قصة الغرام والوهم مع حبيب قلبها ، وختمت هذه القصة بدراما مأساوية ، بقتل حبيبها ، مأساة يصنعها الإهمال ، قتلته لأنه أراد قطع علاقته بها ، رجته كثيرًا ألا يفعل ، ولكنه صمم على قطع هذه العلاقة ، مما دفعها لقتله ، وبين يدي النيابة قالت – ناصحة – زميلاتها : « لا تتأثروا

(١) الشباب والحب والغريزة : نبيل حامد المعاذ ص ١٥.

بالمسلسلات والأفلام ، ولا بالشباب الذي يتسلى مع الفتيات باسم الحب ، وأقول لمنتجي الأفلام : هذه الأعمال سبب مصيبتي ، وهناك قضايا يجب أن تجد اهتمامكم »[1].

أيها الأبناء : أما آن لنا أن نعتبر ونتدبر ؟ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] .

* ولعل سائلًا يسأل : هب أن هذه العلاقة لم تصل لهذا الحد من القتل أو من الزنى أو من الانتحار ، فماذا في ذلك ؟

إن لم تصل العلاقة لمثل هذا الذي ذكرت ، فيكفينا من الشر والإثم ما نراه من إصابة المحب بالهم والغم والحيرة وطول التفكير واضطراب البال فضلًا عن السهر والقلق والكذب لتدبير ما يلزم اللقاء مع المحبوب من مال أو مكان .

فبالله عليكم : أهذا حال شباب يُرجى منه صلاح البلاد ورشاد العباد ؟ أهؤلاء فتيات نأمل فيهن أمهات صالحات تقيات ؟

أهذا هو جيل النصر المنشود ... جيل العزة والكرامة ، حقًّا

---

(١) أخبار اليوم القاهرية : السبت ٨ من ذي القعدة سنة ١٤٢٣هـ ، والأهرام القاهرية : السبت ٨ من ذي القعدة سنة ١٤٢٣هـ - ١١ من يناير سنة ٢٠٠٣.

« إننا لم نخسر أمجادنا العظيمة إلا عندما فتحنا قلوبنا وعقولنا وبيوتنا لسموم الأمم الفاجرة، تكتسح بميوعتها صلابتنا، وتذيب برذائلها رجولتنا، فكانت هزيمتنا هزيمة خلائق لا هزيمة معارك »[1].

جيء لابن عباس بشاب شديد الضعف، فسأل: ما به؟ فقالوا: عاشق، فأمرهم رضي الله عنه بالدعاء له، وأخذ يستعيذ بالله من شر العشق.

فاللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب ما يقربنا إلى حبك.

*** وها هنا سؤال آخر: هل الحب حرام – إذن – بين كل فتى وفتاة؟**

قبل الشروع في الجواب، أذكر بأن المراد هنا من الحب ليس معناه السامي، بل المعنى الأرضي الشهواني الذي قصصنا بعضًا عنه فيما سبق.

---

(١) تأملات في المرأة والمجتمع بتصرف: محمد المجذوب ص ٧٣، وما بعدها.

ويحسن أن أذكر بقضية هامة يجب أن نكون جميعًا على وعي تام بها ، ألا وهي ضرورة الإيمان بأن قيمنا وأعرافنا وآدابنا كلها يجب أن تنبع من معين واحد ، وأن تستمد من مصدر واحد ، ألا وهو دين اللّه سبحانه وتعالى ، ذلك الدين الحق الذي لا يغفل أبدًا ، الدوافع الفطرية بين الجنسين ، ولا المشاعر الإنسانية التي هي من ضرورات الحياة ، ولا يحاول كبت هذه المشاعر فضلًا عن محاولة القضاء عليها ؛ لأن امتداد الحياة ، وعمارة الأرض مرتبط بها فلا بقاء للنوع الإنساني ، ولا إعمار للكون بدون ذلك التجاذب والميل بين الذكر والأنثى .

فالميل ليس جريمة تقترف ، ولا نوعًا من الإفساد ، ولا فسادًا ينكر والذي يحاربه الشرع ، ويرفضه تمام الرفض هذه الشهوانية المفتوحة بلا ضابط ، تلك التي لا تفرق بين جسد وجسد ، يحارب الدين تلك اللحظات التي تعقبها الآلام والحسرات ؛ لأن مراد اللّه من هذه العلاقات إدامة الحياة ، وهذا لن يكون إلا بتنظيم محكم وضبط جيد لصور هذه العلاقات كي تكون أداة بناء ، وعامل استقرار ، مراد الله إقامة مجتمع طاهر شريف ، عفيف ، لا

تثار فيه المشاعر ولا تهاج فيه الشهوات ؛ لأن ذلك سيؤدي إلى شرور لا تنتهي ، فما النظرة الخائنة ، والحركة المريبة ، والزينة السافرة ، والاختلاط المفتوح إلا وسائل شر ، وعوامل هدم .

فسائر المعاصي من كذب وحقد وغش علاجها الاستعلاء عليها والابتعاد عنها والتوبة النصوح منها .

أما هذه العلاقة فعلاجها الارتواء والشبع ، ولكن بضوابط وقيود حددها لنا الله ، وضبطها لنا رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام . ولذلك تفصيل في الأبواب التالية إن شاء الله .

○○ وتأسيسًا على هذه المقدمة أقول بأن هذه العلاقة التي تسمى زورًا بالحب ما هي إلا عشق منكر وحرام بيّن لا خفاء فيه ، والدليل :

١- هي محرمة ؛ لقوله سبحانه : ﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ [النساء : ٢٥] ، فمن صفات نساء الطهر ، وصاحبات العفاف عدم اتخاذ أخلاء وأصدقاء .

٢- هي محرمة لأنها تنمو عبر رسائل ومكالمات تتم في الخفاء وتسقى بماء الخوف من الناس ، والعار ، والفضيحة ،

وصدق النبي عليه السلام عندما قال : « الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس »[1] .

٣- هي محرمة ؛ لأنها مشغلة للقلوب عما ينفعها ، وإهدار للأوقات ، وضياع لحدود الله وأوامره ، أليست النظرة الخائنة حرام وخروج عن أمره لنا : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور : ٣٠] ، ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] .

أليست المصافحة ، والقبلة ، والعناق ، والتكسر في الكلام ، كل ذلك مدعاة للشر ، ومجلبة للفاحشة ؟

٤- محرمة لأنها تهدم البيوت وتدمر السعادة الزوجية ، كيف ؟ المرء في هذه العلاقة بين أمرين :

* إما الزواج ممن كان يحب ، واستنفذ معه كل المشاعر والعواطف ، وهذا يؤدي إلى البرود العاطفي ؛ لأنه لم يعد عند المرء ما يعطيه .

* وإما التزوج بأخرى غير التي كان يحبها ، وهذا يورثه

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم برقم (٢٥٣٣) عن النواس بن سمعان .

الهم والحزن ؛ لأنه سيعقد مقارنات لا تنتهي بين محبوبته ، وبين زوجته في الكلام والمنظر والملبس ، وكل شيء ، وهنا يزكي الشيطان ذلك الصراع وينميه لتدمير أعظم حصون الإسلام « حصن الأسرة المستقيمة » ، والأمر كذلك - أيضًا - بالنسبة للمرأة .

٥- محرمة لأن أساسها النفاق والكذب ، فكل طرف يبدي للآخر من الأخلاق والعادات ما ليس فيه - غالبًا - ويبدو كل طرف كما لو أنه ملاك طاهر .

٦- محرمة لأن آثارها موجعة مؤلمة ، ولنا في رسالة طالبة الطب أسوة وعبرة ، وهي بعنوان « الفتاة المتحررة للتسلية وليست للزواج » .

وخلاصتها : « إن الرجال الذين ينادون بمثل هذه العلاقات والتحرر من كل قيد إنما هدفهم التسلية ، وإرضاء المزاج ، لا الزواج والاستقرار »(١) .

---

(١) « آخر ساعة » القاهرية : ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٨٤م ، ٥ ربيع الأول سنة ١٤٠٥هـ .

٧- محرمة انطلاقًا من قوله سبحانه : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

إن كل محبة ستصير في الآخرة عداوة إلا محبة أهل التقى لبعضهم ، فهل من التقوى ما نراه من آهات وتوجع وتكسر في المشية والمنطق؟ هل من التقوى ما نراه من الزينة الظاهرة بل الخروج حتى منتصف الليل دون رقيب من أهل أو من دين ؟

هل من التقوى القبلة والعناق ؟ وآفة ذلك كله ما يسمونه بالزواج العرفي .

٨- محرمة ؛ لقوله سبحانه : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٣، ٩٤] ، ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ [الكهف : ٤٩] .

قال ابن عباس : الصغيرة التبسم ، والكبيرة الضحك .

ماذا سينفعك عبد الله وأنت بين يدي ربك يسألك ، يسألك عن الخلوة المحرمة ، والنظرة الخائنة ، والعناق الآثم ، بماذا ستجيب ؟

يوم لا ينفعك فيه مال كسبته ... ولا يضرك شيء عدمته

ولا يفيدك إلا خير أمضيته ... أو صنع بر فعلته

٩- محرمة ؛ لأن مثل هذه العلاقات يورث البوار والعنوسة ، كيف هذا ؟

اعلمي أختي المسلمة أنه لولاك ما أقدم الرجل على المعصية وانتهاك الحرمات .

اعلمي أختاه أن لحظات العشق هذه ما هي إلا لذة ساعة ثم يمضي الرجل ناسيًا ما حدث ، أما أنت فالهم والتفكير ملازمان لك ، ويا للطامة لو حدثت الفاحشة ... فالعار العار .

وإن أمل المرأة – أي امرأة – أيًّا كان قدرها ومنصبها هو الزواج . أما الرجل فالزواج مرحلة من مراحل حياته يتلوها همّ المنصب ، والمال ، والمكانة .

تقول الممثلة الأمريكية « بربارة ستريآند » : إني لأحسد النساء أصحاب الأولاد والزواج[1] .

---

(١) خطر التبرج والاختلاط ص ١٦٥/ ١٦٦.

وتقول مارلين مونرو – أشهر ممثلة إغراء –: « إني أتعس امرأة على هذه الأرض ، لم أستطع أن أكون أُمًا »[1].

اعلمي أختاه أن الرجل لا يوافق على الزواج من امرأة كانت ألعوبة بين يديه ، وأرضت مشاعره على حسب شريعة إبليس ، فمن الذي يضمن له ألا تكوني ألعوبة في يد غيره ، وتقومي بخيانته كما خنتِ أبويكِ ودينك وأهلك من قبل ؟

إن الرجل لا يريد إلا جسدك وجمالك كما يحكي الأستاذ علي الطنطاوي عن عجوز في بروكسل كانت تعبر شارعًا ولم يحاول أحد مساعدتها في العبور ، فلما سأل عنها أخبروه بأن هذه كانت فاتنة الشباب أيام الصبا ، أين عهد الصبا ؟ وأين هم طالبوها ؟ وأين هم محبوها ؟ ولَّوْا بعيدًا يوم أن ولَّى الجمال عنها .

وتقول إحدى الفتيات : « أحببته وتطورت علاقتي به سريعًا واستجبت لكل ما يريد خاصة أنه وعدني بالزواج ثم بعد أن حققت له ما يريده تهرب مني فلاحقته كثيرًا دون جدوى ، فماذا

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ٣١٥.

أفعل ؟ وماذا أقول لأهلي وهم يثقون بي ثقة عمياء ؟ »[1].

هرب من الزواج منها لأن المرأة التي تفرط في شرفها لا تؤتمن على زوج وأسرة وأولاد ، وصدق فيها القول : « لما خانت هانت » .

١٠- محرمة انطلاقًا من القاعدة الفقهية العظيمة : سد الذرائع ، فالذريعة هي الوسيلة للشيء ، فالمولى سبحانه حرّم القطرة من الخمر لئلا تتخذ وسيلة للشرب ، وحرم الخلوة بالأجنبية (التي يحل الزواج منها) لئلا تفضي إلى الزنى ، ولنتأمل حديث النبي : « أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية »[2].

فسدًّا لزريعة الزنى ، وهتك الأعراض ، ودمار الأسر ، وشقاء المجتمع ، نقول بتحريم هذه العلاقة ، خاصة أن كل إنسان منا يحمل نفسًا أمارة بالسوء ، وشهوة متلهفة ، في وقت عزّ فيه

---

(١) خدعوك فقالوا إنه الحب : محمد عبد العزيز ص ٥٤.

(٢) حسن : أخرجه أبو داود (٤١٧٣) ، والترمذي (٢٧٨٦) ، والنسائي (١٥٣/٨) عن أبي موسى الأشعري ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه ابن خزيمة (٩١/٣) ، وابن حبان (٤٤٢٤) ، والحاكم (٣٩٦/٢) ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٧٨٧/٢) .

الناصح الأمين، وقلّ فيه المربي المخلص، وضعف فيه الدين، وانعدمت فيه القدوة.

فالإسلام دين وقائي يسد منافذ الشر قبل وقوعه، ويعالج أسباب المعصية قبل حدوثها كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢]، لا تقربوا مقدماته: خلوة... نظرة.. مصافحة، خنوع في القول... إلخ.

* أفلا نعتبر بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

الأسباب التي تقطعت هي العلائق والمودات والمحبة التي كانت لغير اللّه وفي غير ذات الله، فكل محبة لغيره سبحانه عذاب وحسرة على صاحبها[٢].

فهل عناق الفتى الأجنبي وملامسته ومحادثته حتى في أنصاف الليالي، وهل... وهل... هل كل ذلك محبة في اللّه أم في الشيطان والهوى؟

* أفلا نعتبر بقول عمر بن الخطاب: «إن أقل البيوت ما بني

(١) روضة المحبين: لابن القيم ص ٢٦١.

على المحبة ، وإنما يتعاشر الناس بالحب والإسلام » ، يقصد بالمحبة قبل الزواج[1] .

« إن الحب الذي تصوره لنا القصص ما هو إلا نسيج الأحلام لأنه ناشئ عن الأماني والتصورات ، إنه يجعل الإنسان يرى فيمن يحب صورة الرجل المثالي أو المرأة المثالية التي لا يمكن أن يحياها الإنسان في عالم الواقع والحقائق تقف حجر عثرة في سبيله ، فهذا حب خيالي ، أما الحب الحقيقي فإنه ينمو بين الزوجين على مر الأيام وتدعمه العشرة والمودة »[2] .

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا : « لقد درست أمر المرأة لمدة ثلث قرن أو أكثر فوجدت أن رأي من قال : إن التعارف قبل الزواج يثمر سعادة هو رأي فاسد بل أثبت الاختبار بطلانه »[3] .

ولقد أظهرت إحدى الدراسات الأمريكية أن غالب الزيجات بعد حب كبير لم تنجح ، وفي السعودية أثبتت الدراسة أن أغلب

(١) عودة الحجاب : ٢/ ٤٠٢ .
(٢) تحفة العروس للإستانبولي ص ٧٢ ، نقلًا عن : كيف تبني حياتك الزوجية ص ٢٤ .
(٣) عودة الحجاب ٢/ ٤٠٢ .

حالات الطلاق بالرياض العاصمة هي التي تتم بعد زيجات عن حب[1].

وممن أفتى بتحريم هذه العلاقة الشيخ عطية صقر في أكثر من فتوى له ضمّنها كتابه « فتاوى للشباب » ، فمن ذلك قوله : « إن الصداقة هذه محرمة تحريمًا قاطعًا لأن اللَّه عندما حرم الزنى حرم كل وسيلة تدعو إليه »[2].

وللدكتور يوسف القرضاوي فتاوى بمنع مثل هذه العلاقات[3].

وتقول الدكتورة خديجة علوي أستاذ علم الاجتماع : « إن مفهوم الصداقة بين الشباب والفتيات قبل الزواج أمر مرفوض دينيًا واجتماعيًا ، فهي من الأفكار الفاسدة التي وردت إلى مجتمعنا ، وهذه الصداقة وهم كبير ، وكثيرًا ما تفشل هذه الزيجات لأن الأسس التي قامت عليها منذ البداية أسس واهية »[4].

* وتعقيبًا على الحادثة التي هزت المجتمع المصري ، عندما قتلت فتاة في الثانوية العامة حبيبها لأنه فكر في هجرها والتخلي

---

(١) خدعوك فقالوا : إنه الحب ص ٥٦.

(٢) فتاوى للشباب ص ١٣٠.

(٣) فتاوى معاصرة ٤٥٦/١ وبعدها.

(٤) جريدة المسلمون العدد ٦٠٥.

عنها خصصت حلقة تليفزيونية عن هذا الحادث المؤلم ، وذلك في برنامج اسمه « خلف الأسوار » ، واستضافت مقدمة البرنامج بعض علماء النفس ، ورجال الأمن ، فكان الإجماع على أن هذا الحب سفه وضياع ولعب عيال ؛ لأن أساسه مشاعر صبيانية مؤقتة تلتهب وتنطفئ لا ثبات لها ، فلا حب بمعناه الرفيع السامي إلا بعد الزواج حيث المودة والعشرة والأولاد والقربى والتجانس[1] .

فهل نعتبر أيها الشاب ، أيتها الفتاة ؟ هلموا إلى ربكم ، بتوبة نصوح ، وصدق عازم وحب جارف ، وشوق دافع : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات : ٥٠] .

« ولقد أجرت جامعة القاهرة دراسة حول ما أسمته زواج الحب ، والزواج التقليدي « بلا حب » ، فجاءت النتيجة ٨٨٪ من حالات زواج الحب تنتهي بالفشل ، أي أن نسبة النجاح فيها لا تتجاوز ١٢٪ ، أما الزواج التقليدي (هكذا أسمته الدراسة) فجاءت النتيجة ٧٠٪ من حالاته بالنجاح »[2] .

---

(١) برنامج « خلف الأسوار » مذاع على القناة الأولى بالتليفزيون المصري مساء الأحد ٢٠٠٣/١/١٩م ، ١٦ من ذي القعدة سنة ١٤٢٣هـ .

(٢) الوعي الإسلامي ، عدد ٣٨٢.

الباب الخامس

شبهات مثارة والردود عليها

تمهيـد :

كثيرًا ما يثير المتحررون من القيم ، والمفتونون بالغرب الغبار ليحجبوا عن الناس الحق الواضح .

وهم بهذا يعاندون الحق ، ويضعون الشبهات أمامه ، ولكن لا تصمد هذه الشبهات قليلًا أمام الحجة والبرهان حتى ولو وزنت بميزان العقل المجرد ، فما البال لو أضيف لذلك قيم الشرع وحدوده ؟!

ويجب أن نعلم أن المرض الذي يصيب الإنسان نوعان : مرض قلب ، ومرض بدن ، ومرض القلب نوعان : مرض شبهة وشك ، ومرض شهوة وغي . فقال سبحانه وتعالى عن الشبهة : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة : ١٠] . وقال عز وجل عن الشهوة : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

فتعالوا نستعرض بعض هذه الشبه لنكشف بطلانها ونوضح زيفها ، وأسوق هذه الشبهات على لسان الفتيات لأنهن الجانب الأولى بالاهتمام والأهم بالعناية في هذه العلاقة .

الشبهة الأولى :

● **هكذا مجتمعي الذي نشأت فيه ، وهذه هي التقاليد الشائعة فلست أنا الوحيدة التي أفعل ذلك فغالب زميلاتي هكذا ...**

– إن لكل مجتمع قيمه وعاداته والإسلام لا يعادي هذه العادات جملة بل يعادي منها ما هو ضار للبشرية ، فالإسلام بتشريعاته ما أتى إلا لإسعاد البشر وسكينتهم .

فتعالوا بنا نستعرض بعضًا مما كان عليه المجتمع الجاهلي عندما بعث اللَّه نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام ، ولنرى ماذا صنع محمد عليه السلام ؟

كان للمجتمع منطقه وأعرافه ، فمن ذلك :

* تفضيل السادة على العبيد ، وألا تتزوج الحرة من العبد ، وأن المرأة نجس عند حيضها ، هذه أعراف كانت سائدة وتقاليد منتشرة ، فهل سلّم بها النبي وهو آنئذ ضعيف لا قوة معه ولا أنصار ؟

ما استسلم عليه السلام بل قام الصراع منذ اللحظة الأولى بين منطقين متفاوتين منطق الجاهلية الذي سبق ذكر بعضه ومنطق الإسلام الذي ساوى بين الجميع فلا سادة ولا عبيد، وأعلى من شأن المرأة فهي شقيقة الرجل ونزلت الآيات تتوالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وأتت أحاديث النبي عليه السلام: «الناس سواسية كأسنان المشط»[1]، «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»[2].

---

(١) ضعيف. أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/٢٤٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (١٥٠٨)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٩٥)، وذكره الألباني في الضعيفة (٥٩٦).

(٢) صحيح. أخرجه أحمد (٥/٤١١)، وأبو نعيم في الحلية (٣/١٠٠) عن أبي نضرة، وإسناده صحيح، وفي الباب عن أبي سعيد عند أحمد (١١٧٦٢)، وعن أبي هريرة عند أحمد (٨٧٣٦). قال الهيثمي في المجمع (٣/٢٦٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

واليوم يقوم صراع بين منطقين ، فماذا عسانا أن نصنع ؟ لا جواب إلا ضرورة إخضاع ما يخالف الدين من أعراف وعادات إلى حكم اللّه وحكم رسوله ، بدلًا من أن نحتج بحجة هكذا المجتمع ، ولنفترض أختاه أن المجتمع انتشرت فيه السرقة ، فهل هذا يبرر لك السرقة ؟ انتشرت فيه الفواحش فهل هذا مدعاة لفعلها ؟ أي منطق هذا ؟ وأين شخصيتك أولا تتأسين بحديث النبي عليه السلام : « لا يكن أحدكم إمعة يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم »[1] .

الشبهة الثانية : أنا أجد متعة ولذة في هذه العلاقة فما الضرر في ذلك ؟

– عرّف العلماء اللذة بأنها بلوغ الغاية وإدراك الهدف وسعادة النفس بذلك .

لهذا لا خلاف على أن اللذة هي أمل كل مخلوق من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها .

(١) أخرجه الترمذي في البر ٢٠٠٧.

فنحن نأكل لأن الأكل نلتذ به ، وضده الجوع يؤلمنا ، وننام لأن النوم يسعدنا ، وضده دوام السهر يؤذينا .

لكن – عباد اللّٰه – هذه لذات آنية موقوتة أفلا نتطلع إلى لذة دائمة لا تفنى ولا تبيد ؟ وما هي إلا لذة الطاعة والفوز بالجنة : ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [النحل : ٣٠] ، ﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [يوسف : ٥٧] .

وصدق من قال : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها ولم يذوقوا أطيب ما فيها ألا وهو الأنس باللّٰه .

فألذ ما في الدنيا وأطيبه معرفة الله ، وأجمل ما في الآخرة وأسعده رؤيته سبحانه[١] .

لقد تركتم ربكم وأقبل بعضكم على بعض ، وواللّٰه لو أقبلتم عليه وتلذذتم بطاعاته لرأيتم الخير كله .

فأية لذة – أختاه – في اختلاس قبلة عابرة ، أو عناق طائر ، أو تصافح محرم ، أو نظر خائن ؟

---

(١) روضة المحبين ص ١٥٨.

وهل حدوث لذة يبرر الفعل؟ ألا يشعر السارق بلذة ما سرق ؟! ألا يشعر المغتاب بلذة وهو يهتك عرض الآخرين ؟! فهل يبرر ذلك فعلهم ويجوز صنيعهم؟ اللهم كلا ... إن الضابط عندنا في هذا أنه لا مرحبًا بلذة عاقبتها النار ، وثمارها الندم والخسار .

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها   من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها   لا خير في لذة من بعدها النار

الشبهة الثالثة :

إن منع الاختلاط وإقامة الحواجز بين الجنسين يلهب مشاعر كل طرف نحو الآخر ، ويؤدي إلى حدوث كبت وضيق ، فلا بد من التنفيس بلا انحراف ولا ريبة .

الــرد : – يقول أحد علماء التربية المسلمين ابن سحنون : « أكره أن يُعلّم الفتية مع الفتيات لأن ذلك فساد لهن » .

ويقول الدكتور بدر الدين أستاذ علم الاجتماع بجامعة « لويز فيل » بولاية « كنتاكي » الأمريكية : « برغم أن الاتجاه السائد الآن في أمريكا هو التحرر ، إلا أنه في السنوات الأخيرة بدأت تظهر

مجموعات تنادي بالمحافظة على التقاليد والقيم، لهذا تدعم الحكومة الأمريكية الفصول الدراسية المنفصلة في بعض الولايات دعمًا رسميًا».

وتقول الصحفية الأمريكية هيلسبان ستانسبري: «لقد عانينا من الاختلاط كثيرًا فضحاياه يملأون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية»[1].

إن القائلين بضرورة الاختلاط ينسون أن لكل أمة شخصيتها التي تكونها عقائدها وتصوراتها عن الله والكون والوجود، ويغفلون المآسي التي نتجت عن ذلك الاختلاط المفتوح غير المنضبط بضابط، فللاختلاط عندنا حدوده وأهدافه على ضوء المصلحة التي يحققها والضرر الذي يخشى منه والصورة التي يتم بها والشروط التي تراعى فيه[2].

أفلا نعتبر بحال الدول التي أطلقت العنان لذلك الاختلاط بلا قيد ولا ضابط تحت شعار خادع كاذب وهو «سكون الغريزة

(١) مراهقة بلا أزمة ٢/ ٢١٢.

(٢) فتاوى معاصرة للقرضاوي ٢/ ٢٧٩.

وتقارب الجنسين » ، فهل حدث هذا فعلًا ؟ كم من المآسي التي تتكرر في البلاد التي داست القيم وأباحت هذا الاختلاط حتى لقد جاوز الأمر حده بأن سمعنا بمن يعتدي على ابنته وآخر على أخته وآخر على زوجة أخيه والإحصاءات كثيرة عن هذه المآسي في أمريكا وأوربا بأسرها[1] .

إن هذا المصير الحقير جدير بكل من يستخف بحدود اللّٰه وشرعه العظيم ، وأي كبت هذا الذي تتحدثون عنه ، فتعالوا لنقارن بين صنفين :

الأول : حر من الأخلاق والقيم ولكنه مقيد بشهواته ورغباته .

الثاني : حر من الشهوة لكنه مقيد بالأخلاق والقيم .

فالقيد والحرية حقيقتان متجاورتان ، بل هما حقيقة واحدة ذات صورتين فكل قيد له حرياته وكل حرية لها قيودها والمفاضلة

---

(١) عدد الطالبات الحوامل بدون زواج في مدارس نيويورك بلغ الآلاف ، وذات الحال في المجر والسويد وإيطاليا ، انظر خطر التبرج والاختلاط لعبد الباقي رمضون ص ١٣٧، ١٤٠ بتصرف .

ليست كما يصورها البعض بين القيد والحرية بل بين قيد وقيد وحرية وحرية[1] .

أيهما يورث الكبت : شاب يقع في عنت وتعب من المثيرات والمغريات والاختلاط غير المقيد بضابط ولا حد ، أم شاب آخر خرج من بيته متسلحًا بقيم الحق ومثل الدين ؟ « إن الإنسان غير المتزن هو الذي يشعر بالكبت ، أما القوي فإنه يصبح أكثر قوة عندما يمارس الزهد في ضبط شهوته »[2] .

إن الكبت لا يأتي إلا من استقذار دواعي الفطرة والتفكير في نواحي الشهوة[3] .

ونقول : ماذا ضد هذا الكبت المزعوم ؟ اختلاط مفتوح ... حريات مطلقة ... والثمرة : زنى ، عهر ، فساد ، سكر ، دمار ، هلاك .

فيا قومنا : هل يمكن لجائع أن يزهد في طعام مبثوث أمامه

---

(١) في النفس والمجتمع : محمد قطب ص ١٨٨، ١٨٩ بتصرف .
(٢) الإنسان ذلك المجهول : ألكس كاريل ص ١٧٤ بتصرف .
(٣) شبهات حول الإسلام : محمد قطب ص ٢٣.

بكل صنوفه وأشكاله ؟ ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم : ٣٦] ؟

وبالله عليكم أخبرونا عن البلاد التي ليس فيها قيد على اختلاط ، ولا حجر على عري جسدي ، ولا حرج على علاقة بين اثنين ، هل أدى ذلك إلى التنفيس ورفع الكبت وتهذيب المشاعر ؟ أم أدى ذلك إلى سعار وجنون جنسي لا يرتوي ولا ينتهي ، بل إن الإحصائيات تقول : إن كل ست دقائق تحدث جريمة اغتصاب بالقوة والنسبة في ازدياد[١] .

ولو فكرنا – قليلًا – لوجدنا ما يحسم الأمر ، إن هذه الإثارة المتلاحقة تجهد المرء ، فالنظرة تثير ، والضحكة تثير ، والنبرة الخاضعة تثير ، والمشية المتكسرة تثير ، فما الحل ؟ لا سبيل إلا ضرورة ضبط الاختلاط ، وتقوية عوامل الالتزام ، ونبذ هذه العلاقة والتسلح بالدين ، والسير على نهج رسول الله عليه السلام .

ومن هنا لن نرى إلا ما رأيناه في مجتمعاتنا الإسلامية في

---

(١) انظر كتاب الجريمة في أمريكا ص ٦.

العصور السابقة من رقي وحضارة والتزام وسكينة وطمأنينة[1].

الشبهة الرابعة :

هذه علاقة خاصة لا دخل للمجتمع بها لو حدث تدخل من الآخرين ، فأين هي إذًا حريتي الشخصية ؟

– بداية « لقد وضع الإسلام نظامًا متكاملًا للحياة من أهم أسسه الحقوق الفردية والجماعية التي تشكل في مجموعها التكافل والتضامن على صورة لا مثيل لها في أي نظم أخرى »[2].

ولنضع أساس الرد على هذه الشبهة حديث الرسول ﷺ : « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا »[3].

---

(١) انظر في ذلك : من روائع حضارتنا لمصطفى السباعي ، مواقف إيمانية لأحمد فريد .
(٢) مصنفة النظم الإسلامية : د . مصطفى كمال ص ٦٦١ وبعدها .
(٣) البخاري (٢٤٩٣) عن النعمان بن بشير .

إن المجتمع كله هو هذه السفينة يركب ظهرها البر والفاجر وهي تحملهم جميعًا ولكنها تتأثر بالموج والرياح من جانب ، وما يريده لها الربان من جانب آخر ، ولكن تحت مسمى « الحرية الشخصية » ينسى الناس هذه الحقيقة ، ينسون سفينة المجتمع أو سفينة الحياة ، ومن أجل ذلك ينجرف الإنسان في تيار الشهوات ، ويقول : لا حرج عليَّ فأنا حر ، ويتركه الناس خوفًا منه أو استهانة بأمره ويبرر لنفسه ما يصنع ، هل أنا الذي سأفسد الكون ؟ هل قبلة طائرة في الهواء ، أو ضمة مختلسة في الظلمة أو ساعة ممتعة في خلوة ، هل هذه يمكن أن تؤثر في المجتمع وتهدم الأخلاق ؟!

إن الإنسان بهذا المنطق يتصور نفسه شخصًا واحدًا في المجتمع وينسى ذلك الشخص ، وللأسف ينسى معه الناس ، أن الآفات في النهاية تتجمع حتى تقضي على المجتمع كله .

* وتأتي فتاة مستهترة ، تتقصع في مشيتها وتتكسر في حديثها وتعري ما يحلو لها من جسدها ، وتقول : لا حرج فأنا حرة ، وتبرر لنفسها ما تصنع ، هل أقتل نفسي كبتًا ؟ أريد الانطلاق ، هذا حقي !! وهل أنا التي أفسد الشباب أم إنهم هم

الفاسدون ؟! إنهم ذئاب يسعون وراء الصيد بكل وسيلة ، ما الذي يحدث حين أكشف ذراعي أو ساقي ؟ أو صدري هل ستنقص مني قطعة ؟ هل سيأكلني الشباب ؟ هل ستخرب الأرض ؟

وآه لو تذكرت هذه الفتاة أنها خرقت مكانها في السفينة ... وهكذا .

تأتي أخرى فتخرق خرقًا آخر ، وتأتي ثالثة ، والنتيجة ينهار المجتمع كله وتغرق السفينة ، وهذه سنة اللّه التي لا تتبدل ، تغرق السفينة ومعها الظالم والمظلوم ، والصالح والطالح ، فليست هناك مصلحة لفرد هي مصلحته وحده وشأنه بمفرده ، فكل مصلحة هي مصلحة الجميع ، ومن وحدة المصلحة ينشأ الترابط بين أفراد المجتمع تحت مظلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على الخير[(١)] .

فالحرية إذن خلق أصيل فطر اللّه الناس عليه كما قال علي بن أبي طالب : « لا تكن عبد غيرك وقد خلقك اللّه حرًا » . لكن

(١) قبسات من حياة الرسول : محمد قطب من ص ١٥٧ إلى ص١٧١ بتصرف .

الحرية عندنا حرية حقوق لا حرية فسوق ، حرية مضبوطة بضابط الشرع لا كما يسميها أهل الهوى : حرية شخصية « أي تزني - تفسق - تفعل ما تشاء - بحجة : أنا حر » .

أية حرية هذه ؟ حرية إفساد نفسك ، ومجتمعك وأخلاقك ، وعبادتك[1]!!

وهب أن هناك إنسانًا قويًا يلهو بسلاحه أيحق له أن يفعل به ما يشاء تحت مسمى « أنا حر » ؟ إن حريتنا تقف عند حدود حريات الآخرين وما عدا ذلك فوضى .

فالأمر عندنا مرهون بقاعدة أساسية ألا وهي : لا ضرر ولا ضرار ، « فلا ضرر بالنفس ، ولا ضرار بالغير » .

الشبهة الخامسة : هذه علاقة بريئة ومجرد صداقة لا مكر فيها ولا شر ولا خداع .

- إن المقياس الذي يجب أن نقيس به أعمالنا هو مقياس الشرع فقط ومما تعلمناه من ديننا أن الأمور عندنا مرتبطة ببدايتها

---

(١) فتاوى معاصرة : يوسف القرضاوي ١/ ٧٠١- ٧٠٥ بتصرف .

ونهايتها ، وهذه الشبهة مترتبة على دعوى الاختلاط المفتوح ، فلو لم يحدث ذلك الاختلاط ما ثارت هذه الشبهة أصلًا .

ولقد عرف بعض أهل العلم الصداقة : بأنها المناصحة والمعاشرة بالحسنى والمساعدة على الخير والبر ، فباللَّه عليك أختاه .. أخبرينا ، كيف تتم هذه الصداقة بينك وبين الفتى ؟ أتتم دون نظر ؟ فما حكم ذلك النظر ؟ أتتم دون تصافح وتلامس ، فما حكم هذا التصافح ؟ أتتم دون ضحك ورفع للصوت وترخيم للكلام وتقصع في المشية ... فما حكم ذلك ؟

ولو سلمنا جدلًا بأنه لا شر فيها ولا مكر لخلو نيتك من الرذيلة فهل الشاب كذلك ، ولو كان كذلك فهل تضمنين نية شيطانكما ، إن الشر الأعظم هنا أننا نفني هذه المشاعر وتلك الطاقة قبل موعدها المشروع مما يجعلنا عبيدًا لهذه الشهوات .

« كانت بيني وبينه أخوة بريئة ، وصداقة خالصة حتى أحسست نحوه بالحب وبادلني بحب أكبر ووثقت به ثقة تامة وأسعدني كثيرًا بكلامه المعسول حتى سلمت له نفسي وروحي وبينما أنا معه في شقته إذا بصديق له يدخل عليّ فنهرته وشتمته ،

فما كان منه إلا أن سبني بأقذع السباب بل وضربني ، وضحك ضحكة عالية عندما ذكرته بأنني زوجة لصديقه فكيف يخونه ؟ قال : زوجة !! هاها !! وكانت الطامة ، وفوجئت بثالث ، وبرابع ، أريد التوبة لكنهم يهددوني بما معهم من صور ، فهل يجوز لي الانتحار ، ماذا أفعل » .

لا شيء إلا التوبة التوبة ، وليكن ما يكون ، والله يتولى الصالحين .

ألا تعتبرين أختاه ؟ لم تظنين أنك أوثق خلقًا ، وأقوى دينا من هؤلاء اللاتي وقعن في شراك أحبائهن ؟

الشبهة السادسة :

ماذا أصنع وقلبي متعلق به ، ولا يمكنني دفع ذلك الحب عن قلبي ؟

– إن كل صنعة لها صانع هو أدرى بسبل إصلاحها وطرق تقويمها ولا ريب أن البشر صنع الله ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤] ، فكيف بالله عليك تتخيلين أن الله سبحانه يوقع خلقه في عناء ومشقة وفيما لا حيلة لهم فيه لنوضح

الأمر أكثر ، فالإنسان عندما يشرب المسكر الحرام هل ذلك الشرب يتم باختياره أم رغمًا عنه ؟

الشرب كان باختياره ، أما النتيجة من سكر وزيغ ، فهي ليست باختياره ، بل أمر اضطراري فالقاعدة تقول : « ما كان من اختيارك فليس لك عذر فيما تولد عنه »[1] .

لهذا فنحن نملك مقدمات السيطرة على حواسنا ، ومشاعرنا ، وقلوبنا ، فلما تساهلنا في ذلك وفرطنا في أمر هذه المقدمات ، قلنا : هذا أمر اضطراري ، فما أقبح هذه الدعوى الكاذبة ؟ فلو اتقينا اللّٰه في النظرة ... في الخلوة ... في الكلمة ... في المشية ، ما حدث الذي حدث ويحدث .

فمبادئ هذا الأمر اختيارية بيدك أنت وحدك ، ولكن هذا يحتاج إلى همة ويقظة كي لا ندخل للقلب ما يضره ، ويذهب بصحته وقوته .

الشبهة السابعة :

أنا واثقة من نفسي ، فالنظر لزميلي ليس معناه حب

(١) الحب في الجامعة : د / خالد جمال ص ٦٦.

الفاحشة ، وصداقتي له ليس معناها الزنى والواثقة من نفسها لا يمكن لأي شاب أن يتجرأ عليها .

– أختاه : أمر عجيب حقًّا ، أية ثقة هذه والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق .

تحكي صفية بنت حيي زوج النبي : « كان النبي عليه السلام معتكفًا فأتيته أزوره ليلًا فحدثته ثم قمت فقام معي وكان سكني عند أسامة بن زيد فمر أنصاريان ، فلما رأيا الرسول أسرعا ، فقال عليه السلام : « على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي » . فقالا : سبحان اللّٰه يا رسول الله !! فقال عليه السلام : « إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءا ، أو قال شيئًا » »[1] .

أليس النبي واثقًا في نفسه ، فلماذا نادى على الصحابيين ؟ أفي وقفته مع زوجه ريبة أو شك ؟ سبحان اللّٰه العظيم . يا قومنا : سلوا البنت التي زلت ووقعت في الخطأ هل كانت ضعيفة الثقة في نفسها ؟

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٥) ، ومسلم (٢١٧٥) عن صفية رضي الله عنها .

سلوا الفتى الذي ضاع وأضاع هل كانت ثقته ضعيفة ، أية ثقة تعنين أختاه ؟ وما أماراتها ؟

أهي التكسر في المشية والخضوع في القول ؟ أهي العناق والمصافحة والتحسر لفراق المحبوب ؟ أهي استغفال الوالدين ، ومن قبل خيانة اللَّه سبحانه ، والتحدث بالساعات ليلًا عبر الهاتف ولو – حدث مرة – وسئلت البنت لكانت الإجابة زميلتي أسألها عن بعض الدروس ؟ أهي الزواج سرًّا من وراء الأهل الذين اطمأنوا لخلقك وتربيتك ، هل من الثقة أن تسلمي نفسك لشاب طائش في نزوة عابرة ، إن قيمنا لا تتجزأ فهي حلقة متصلة آخذ بعضها بخناق بعض ، وما أجمل قول ابن عباس رضي اللَّه عنهما : « إذا رأيت الرجل يصنع السيئة فاعلم أن لها أخوات » .

وعمر بن الخطاب لما أتي له بسارق استحلفه كم مرة سرقت ؟ قال : ثلاثين ، فرد الفاروق رضي اللَّه عنه : كنت أعلم أن اللَّه لا يفضح عبده من أول مرة .

الثقة لها حدود وضوابط :

الواثق في شجاعته هل يمكنه محاربة القوم مجتمعين ؟

الواثق في صحته هل يمكنه السير عريانًا تحت المطر الهاطل ؟

الواثق في ربه هل يبارزه بالمعصية ؟

فالثقة في الحق وفي النفس المؤمنة أمر هام وخلق قويم ، وأخلاقنا مستقرها القلب ، ومصدرها الشرع الحكيم .

فهلا وثقنا في شرع اللَّه أولًا بما أحله لنا وحرمه علينا كي تسلم لنا ثقتنا في أنفسنا .

وصدق الشاعر :

قالت أنا بالنفس واثقة حريتي دون الهوى سد
فأحببتها والحزن يعصف بي أخشى بأن يتناثر العقد
ضدان يا أختاه ما اجتمعا دين الهوى والفسق والصد
والله ما أزرى بأمتنا إلا ازدواج ماله حد[1]

الشبهة الثامنة :

يا جماعة لماذا هذا التضييق ، فاللَّه غفور رحيم ، ولو حدث شيء من الخطأ فاللَّه سيغفر لنا لو استغفرناه ، فلماذا تضخمون الأمر وكأننا صرنا من أهل النار .

(١) مناظرة مبهجة بين محجبة ومتبرجة : إبراهيم فتحي ص ٩٤، دار العقيدة .

- بداية لا يمكن لبشر أن يحكم على آخر بأنه داخل الجنة أو خارج منها ، فالأمر لله سبحانه يقضي بما يشاء وكيف يشاء ، فلا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه .

ومن الذي يجادل أو ينكر سعة رحمة اللَّه ومزيد عفوه ؟ نعم اللَّه غفور رحيم ، تواب ستير ، ولكنه قوي جبار منتقم ، لماذا نأخذ نصف المعادلة ونترك نصفها الآخر ، هلا تدبرنا قوله سبحانه : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر : ٣] .

قال الحسن البصري : « إن قومًا خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنات من كثرة ما ألهتهم أماني المغفرة . يقول أحدهم : إني أحسن الظن بربي فلا أبالي أكثر العمل أم قل ؟ وهو كاذب في ذلك ؛ إذ لو أحسن الظن بربه حقيقة لأحسن العمل[١] ، وصدق ربنا : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت : ٢٣] .

ويقول معروف الكرخي : « طلب الجنة بلا عمل ذنب من

(١) تنبيه المغترين للشعراني (ص١١٥) .

الذنوب ، وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ، وظن الرحمة ممن يعصي جهل وحماقة »[1] .

وما أعظم الفارق بين الرجاء والتمني ، فالرجاء يكون مع البذل والعمل ، أما التمني فكلام مجرد من العمل مصحوب بالكسل ، لهذا يقول أحد الصالحين : « من أعظم الاغترار التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة ، وتوقع القرب من اللَّه بغير طاعة ، وانتظار زرع الجنة ببذر النار ، وطلب دار المطيعين بالمعاصي ، وانتظار الجزاء بغير عمل ، والتمني على الله مع الإفراط »[2] .

وصدقت رابعة في قولها : « أستغفر اللَّه من قلة صدقي في قولي : أستغفر الله » .

الشبهة التاسعة :

أهم شيء النية ونيتي طيبة ولا شأن لي بغيري .

– **الرد :** إن النية في ديننا لا تعد طيبة إلا إذا صاحبها عمل صالح ، فهل أنت – أختاه – أفضل من خديجة وعائشة وحفصة

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٨/ ٣٦٧.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٤/ ١٥١.

أمهات المؤمنين، رضي اللَّه عنهن؟ هل نيتك أنقى وأحسن من نيتهن؟ أَوَمَا سمعت قول اللَّه سبحانه وتعالى لهن - وهو من باب أولى خطاب لك -: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

أطهر القلوب مَنْ؟ خير النساء في خير القرون، فما البال بنا اليوم؟ أو ما تتدبرين قوله سبحانه: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

والعمل الصالح أساسه النية الصالحة فهما متلازمان ...

أية نية هذه؟ فلتتأملي قصة المرأة التي حملت سفاحًا من ابن عمها فلما سئلت: لماذا؟ فقالت: «قرب الوساد وطول السواد» - أي قربها منه وشدة اختلاطها به - مما أورثها السواد والهم والعار.

نعم أصدق أن هناك نوايا طيبة لدى الكثيرين والكثيرات، ولكن في أي أجواء نعيش؟ هل يمكننا أن نغفل أثر الإعلام والدش وأغاني الغرام في تحطيم القيم وإزالة الحدود بين ما هو محظور وما

هو مباح ؟ هل يمكننا أن نغفل أثر افتقادنا للقدوة الصالحة والتربية الرشيدة والتوجيه السليم ؟

وهل نسي النبي ﷺ أمر هذه النية وهو يحذرنا : « ألا لا يخلونّ رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان »[(١)] .

ورقيته التي علمها أصحابه : « اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وقلبي »[(٢)] .

فما لم تتبع هذه النية بعمل صالح موافق لشرع الله فهي نية سوء وشر .

وما أجمل نصح الناصح : « عاملوا الله على قدر نعمه عليكم ، فإن لم تطيقوا فعلى قدر ستره ، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه »[(٣)] .

إذن ما المطلوب تحديدًا ؟

---

(١) تقدم ص٥٤ برقم (١) .

(٢) صحيح . أخرجه أبو داود (١٥٥١) ، والترمذي (٣٤٨٧) ، والنسائي (٨/٢٥٥) ، وفي الكبرى (٤/٤٤٦) عن شتير بن شكل ، وأخرجه أحمد (٣/٤٢٩) ، وابن أبي شيبة (١٠/١٩٣) ، وصحح إسناده الألباني في صحيح أبي داود (١/٢٨٨) .

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٣٩١.

* نريد شخصًا نظيف القلب ، مرتبطًا باللَّه ، نقي المشاعر ، نظيفًا طاهر النفس ، عف اللسان ، صالحًا لدينه وأمته ، وبالتالي نظفر بأسرة سليمة الأركان ومجتمع عظيم الأعمدة .

* لا نريد قتل المشاعر واستئصال الأحاسيس ، فهذا خلاف فطرة اللَّه التي فطر الناس عليها ، بل نريد صرفها لما هو أولى وأحق ، نريد ضبطها بضابط الشرع .

* نريد أن تعلم – أيها القارئ – أن العاطفة إن لم تضبط بمقياس الشرع وتحكم بميزان العقل ، وتوزن بمعيار العفة والفضيلة فإنها تكون حينئذ عاصفة لا عاطفة .

* نريد أن تعلم – أيها القارئ – أن الناس إذا أحبوا أخذوا وإذا منحوا سلبوا وإذا أعطوا طلبوا المزيد ، ولكن اللَّه إذا أحب عبده أعطاه بغير حساب ، ومنحه بغير انقطاع[1] .

فهلا شغلنا عقولنا وأوقاتنا فيما يعود نفعه علينا يوم القيامة : « وما تحلى المتحلون بشيء أحسن عليهم من عظم مهابة اللَّه في صدورهم »[2] .

---

(١) سراب الحب : محمد بن صالح ص ١١٢. (٢) صفة الصفوة ٤/ ٣٠٠.

الباب السادس

سبل العلاج والإصلاح

رحمة من اللَّه بعباده فإنه ما من داء إلا وله دواء، ولكي يستطيع الطبيب أن يأخذ بيد مريضه لتمام الشفاء، وكامل العافية فلا بد من خضوع تام لنصائحه، واستجابة مطلقة لما يصفه من دواء.

فهل هناك دواء أنفع من الذي جاء على لسان النبي محمد ﷺ؟ فيا من ابتلي بمرض العشق أو بمراحله الأولى « نظرة – لمسة – قبلة ».

أسوق إليك هذه الأدوية راجيًا اللَّه أن تحسن النفع بها وأن تزداد بها من ربك قربًا، وعن شيطانك بعدًا.

١ – الزواج، إن تيسر السبيل لذلك علمًا وعمرًا وقدرًا وقدرة؛ مصداقًا لحديث النبي عليه السلام: « لم نر للمتحابين مثل النكاح »[١].

(١) صحيح. أخرجه ابن ماجه (١٨٤٧) عن ابن عباس. قال في مصباح الزجاجة: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات (٢/٦٥)، وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٦٢٤).

٢- حسم الأمر قبل وقوعه وذلك انطلاقًا من قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ [الإسراء : ٣٢] ، وقوله سبحانه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

فطريق العشق مراحل يسلم بعضها للآخر ، لهذا يجب طرد الخواطر والأفكار وأحلام المراهقة وأماني الصبية سدًّا لذلك الشر العظيم وذلك بشغل النفس بالمعالي من الأفكار والعظيم من الآمال والكبير من الأعمال ، فشارب الخمر لو سمع عن الخمر ... الإغراء هنا ضعيف ، لكنه لو رآها وعاينها ... فالإغراء هنا أقوى . فرحمة بك ابتعد عما يثير من نظر ولمس ولقاء .

« وأول ذلك ضبط النظرة التي تثمر الخاطرة التي تطرق القلب فإن دفعها العبد استراح مما بعدها وإن لم يدفعها قويت حتى تصبح وسوسة فكان دفعها أصعب فإن بادر العبد ودفعها استراح مما بعدها وإلا صارت شهوة تقوى الإرادة وتصبح عزيمة يصعب معها العلاج »[1].

٣- تدبر الأمر وإشعار النفس باليأس من ذلك المحبوب وأنه لا

(١) عودة الحجاب ٣/٢٦ نقلًا عن التبيان في أقسام القرآن ص ٣٠٤.

سبيل إليه إما لصغر السن ، أو ضعف القدرة ، أو قلة الخبرة ، ثم التفكر في أن تعلق القلب بما لا مطمع في حصولة نوع من الجنون وصاحبه بمنزلة عاشق الشمس .

٤- تذكر قبائح المحبوب فكما أن المحاسن داعية الحب والعشق فكذلك المساوئ داعية النفور والبعد .

فتدبر أيها الشاب : إن الفتاة كثيرًا ما تحب إقامة مثل هذه العلاقة من باب إرضاء غرورها أو إشباع غريزة الأنوثة فيها وأنها محبوبة مطلوبة فيمكن لهذه الفتاة أن تترك من تحبه لتقيم علاقة مع آخر بل قد تضحي بهما معًا لترحب بأول خاطب جاء يطرق بابها .

وفي إحصاء قمت به تبين أن ٣٦,٨٪ أعلنّ أنهن سيوافقن على الخاطب الجديد ويقول البعض : « لا أخسر أهلي » . وتقول أخرى : « أسرتي تعرف مصلحتي » . وتقول ثالثة : « هذه العواطف مهددة بالفشل ولا يمكن أن تستمر »[1] .

وأنت أختاه تدبري وفكّري جيدًا في قول رابعة :

(١) الشباب والحب والغريزة : نبيل حامد المعاز ص ٤٥ .

أحب حبيبًا لا أعاب بحبه   وأحببتم من في هواه عيوب

وفكّري في أن هذا الشاب ليس جادًا في هذه العلاقة ولو كان جادًا لدخل البيت من بابه ، بل إن كثيرًا من الشباب يعد هذه العلاقة من باب التسلية لهذا لو فكر في الزواج ، فلن تكوني أنت زوجته المأمولة[1] .

إن هذه العلاقة تجعلك - أختاه - رخيصة في عين الشاب لأنه لا يثق فيك خلقًا وتربية إذ ما الضامن له بعد الزواج ألا تخونيه كما خنتي والديك ؟

الزواج أمل المرأة كما قالت مارلين مونرو بصدق : « إني أتعس امرأة ، كنت أتمني أن أكون أُمًا » . نريدك جوهرة مصونة ، ودرة نقية ، وأرضًا بكرًا في الطهر ، وعذراء في العواطف .

وأسوق إليك بعض ما يقوله الشباب : « أنا لم أجبر واحدة على أي علاقة معي بل هي الساقطة ولا أسمح لأخواتي بهذا السلوك الفاسد » .

« هؤلاء فتيات قليلات الأدب وهذا لعب عيال لا يفعله إلا

(١) المصدر السابق ص ٤٧.

الساقطات »[1].

٥- غض البصر عما حرم الله . فالنظر أساس الشرور ، ورسول الشيطان للقلب ، فهو الذي يلهب نار الشهوة ، ويجمل صورة المحبوب في عين المحب ، وهو الذي يلقي على القلب بحطب المعاصي ويشعله بوقود التفكير الدائم المتصل في المحبوب ، فقلب المرء بيت ، وعيناه هما الباب ، ولا يدخل لص البيت إلا والباب مفتوح ، فهلا أغلقنا ذلك الباب .

* النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، فأثرها يستمر حتى وإن غاب المنظور إليه ؛ لأنها تشغل الفكر وتورث الهم وتنبت العشق في القلب .

* سهم لأن هيبة اللّه في القلوب قلت ، والجرأة على معاصيه زادت لهذا قال العبد الصالح لما سُئل : بم نستعين على غض أبصارنا ؟ قال بعلمك أن نظر اللّه إليك أسبق من نظرك لما تشتهي .

* سهم لأنها باب من أبواب جهنم ؛ إذ تفتح باب الشهوة الدافعة لفعل الحرام ولا مستقر للحرام إلا في جهنم .

---

(١) المعاكسات الهاتفية من التسلية إلى الزنى ص٧٤، ٧٥ بتصرف .

* سهم لأن أول الحريق الشرر كذلك فأول العشق النظر .

* سهم لأنها تورث الفكر في الحرام ، والتعلق بالممنوع ، وتصيب القلب بحزن على فوات لذة محرمة ، وتصرف الوقت في المعصية .

* سهم لأنها تجلب المعاناة والآلام فالناظر الذي يعاني آلام العشق واقع تحت حصارين إما أن يستجيب لنداء شيطانه ، ورغبة نفسه وهواه وإما أن يضبط نفسه ويطويها على عنته ومعاناته .

* النظرة كالحبة الملقاة في الأرض إذا لم يلتفت إليها ييبست وإن سقيت نبتت ، وكذلك النظرة إذا ألحقت بأختها .

وصدق القائل : من دامت نظراته ، دامت حسراته .

ماذا تريد وما عساك محصل إلا انشغال القلب بالأحزان

* أوَ لا نعتبر بحديث الرسول عليه السلام : « اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا اؤتمنتم ، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم »[1] .

---

(١) حسن : أخرجه ابن حبان (٢٧١) ، والحاكم (٤/٣٥٩) ، وأحمد (٥/٣٢٣) عن عبادة ابن الصامت . وله شواهد من أجلها حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٤٧٠) .

وقوله : « العينان زناهما النظر »[1] .

وقول ابن مسعود رضي اللَّه عنه : « ما من نظرة إلا وللشيطان منها مطمعًا »[2] .

يقول الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
يسر مقلته ما ضرّ مهجته لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها كمبلغ السهم بين القوس والوتر

وما أحسن قول عيسى ابن مريم عليه السلام : « النظرة تزرع في القلب الشهوة وكفى بها خطيئة » .

ويقول مالك بن دينار : بينما أنا أطوف بالحرم فإذا بجويرية متعبدة تقول وهي متعلقة بالكعبة : يا رب كم من شهوة ذهبت

---

(١) سيأتي نصه وتخريجه ص ١١٦ .
(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ٥٤٣٤. قال المنذري في الترغيب (٣/٢٥) : رواته لا أعلم فيهم مجروحًا لكن قيل صوابه الوقف . قال الهيثمي في المجمع (١/١٧٦) : رواه الطبراني (٩/١٤٩) بأسانيد رجالها ثقات . وأخرجه هناد في الزهد (٩٣٤) ، وابن الجوزي في ذم الهوى (٩١) .

لذتها وبقيت تبعتها . يا رب أمالك من أدب إلا النار ؟[1]

فيا أيها الأبناء ، كم من نظرة ذهبت لذتها وبقيت حرارتها ، كم من خاطر ذهب وولّى وترك أثره .

يقول ابن عباس في تفسير قول اللّه تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] ، « الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها ، فإن رأى منهم غفلة نظر إليها ، فإن خاف أن يفطنوا إليه غض بصره وقد اطلع اللّه عز وجل أنه يود النظر إلى عورتها » .

٦- محاربة الفراغ وشغل الوقت بما ينفع في الدنيا والدين من تحصيل علم ، وتنمية عقل ، وتقوية بدن ، ومساعدة للمحتاج ، وإرشاد للضال .

ويقول بعض الصالحين : « فراغ الوقت من الأعمال نعمة عظيمة ، فإذا كفر العبد بهذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوى ، وانجر في اتباع الشهوات شوش اللّه عليه نعمة قلبه ،

---

(١) اعتلال القلوب للخرائطي ١٤١، وصفة الصفوة ٤/ ٤١٤.

وسلبه ما كان يجده من صفاء قلبه وراحة باله »[1] .

ويقول آخر : « الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إلى ربك ، وتقل عوائقك ثم لا ترحل إلى ربك سبحانه ، فالفراغ للرجال غفلة وللنساء غلمة – أي محرك للشهوة » . وصدق القائل :

إن الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أي مفسدة

وكانت حفصة بنت سيرين تقول : يا معشر الشباب ، اعملوا فإنما العمل في الشباب[2] .

واعلم أنه ما من وقت إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد ، فهلم إلى استثمار وقتك في علم نافع ، ورياضة مثمرة ، وترويح هادف ، وابتكار نافع . فنفسك أيها القارئ إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

٧- استشعار عظمة الله سبحانه وأنه مطلع عليك وأن الملائكة والجوارح والأرض كل أولئك شهود عليك أمام الله

(١) الوقت في حياة المسلم : يوسف القرضاوي ص ١٦.
(٢) الوقت في حياة المسلم : يوسف القرضاوي ص ٦٨.

سبحانه . كما قال سبحانه : ﴿ يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة : ١٣] ، ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت : ٢٢] ، ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت : ٢٠] .

وهذا هو ما أضحك النبي عليه السلام ، فعن أنس بن مالك قال : كنا عند رسول اللَّه فضحك فقال : « هل تدرون مِمَّ أضحك ؟ » قلنا : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « من مخاطبة العبد ربه يقول : يا رب ، ألم تجرني من الظلم . قال : يقول : بلى . قال : فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني . قال : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا ، وبالكرام الكاتبين شهودًا . قال فيختم على فِيه فيقول لأركانه : انطقي فتنطق بأعماله . قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام . قال : فيقول : بُعدًا لكنّ وسحقًا ، فعنكن كنت أناضل »[1] .

ويقول سبحانه : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٩) عن أنس .

﴿الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ١- ٥]، قرأها عليه السلام يومًا فقال لأصحابه: «أتدرون ما أخبارها؟ أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها وأن تقول: عمل كذا في يوم كذا وكذا، فهو أخبارها»[١].

عبد الله: أفلا تستحي من الله الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين؟ أفلا تعتبر بما حدث لخارجة بن زيد السلمي عندما تعلق بامرأة وتبعها. فقالت له: ألك حاجة. قال: حبك. فقالت: دع ذلك ليوم التغابن. فيقول: والله ما عدت إلى ذلك أبدًا[٢].

فهلا فعلت ذلك أختاه لمن أراد أن يسلي وقته معك. هلا قلت له: دع ذلك لهول يوم النشور. اترك ذلك لشدة ظلمة

---

(١) ضعيف. أخرجه أحمد (٢/٣٧٤)، والترمذي (٢٤٣١، ٣٣٥٠)، والنسائي في الكبرى (١١٦٩٣) عن أبي هريرة، وقال الترمذي: حسن غريب صحيح، وصححه ابن حبان (٧٣٦٠)، والحاكم (٢/٥٣٢). وفي الباب عن أنس بن مالك عند البيهقي في الشعب (٧٢٩٦) وإسناده ضعيف أيضًا. وانظر الضعيفة للألباني (٤٨٣٤).

(٢) ذم الهوى: لابن الجوزي ص ٢١٥.

القبور . ابتعد عن ذلك حياءً من ربك صبور .

ألا تعتبرون أيها الأبناء بالقول المأثور : إن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه فإن قبّلها قرضت شفتاه في النار ... فماذا ستفعلون عباد الله ؟

واللسان يقول : رباه أنا للحرام فعلت . واليد تقول : رباه أنا للحرام ركبت .

والعين تقول : رباه أنا للحرام نظرت .

والرِجل تقول : رباه أنا للحرام مشيت . والملائكة تقول : رباه وأنا سمعت وكتبت . ويرد المولى : وأنا اطلعت وسترت ، يا ملائكتي خذوه ، ومن عذابي أذيقوه لقد اشتد غضبي على من قل حياؤه[1] .

يا أيها الأبناء : أحدنا يؤثر الظل على الشمس ، فمابالنا لا نؤثر الجنة على النار ؟ ويقول علي رضي اللّه عنه : « اعلموا عباد اللّه أن عليكم رصدًا من أنفسكم وعيونًا من جوارحكم وحفاظ صدق

(١) الكبائر للذهبي ص ٢٤٤ بتحقيق أسامة عبد العظيم .

يحفظون أعمالكم لا تستركم منهم خلة » .

استحيوا من اللّٰه سبحانه ، من نفوسكم ، من الأرض التي تخطون عليها ، من الملائكة ، من عباد اللّٰه الصالحين .. هيا اربحوا في المعاملة مع ربكم الذي قدمكم وفضلكم على سائر خلقه ، فلم تستكثرون تقديمه في قلوبكم على سائر غايتكم ؟

٨- معرفة أن الجزاء من جنس العمل : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ❁ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧، ٨] . وأن المرء السوي لا يرضى ذلك لأخته ولا لأحد من أهله ، وكذلك الناس لا يرضون بمثل ذلك .

وفي الحديث أنه جاء شاب لرسول اللّٰه : يا رسول الله ، ائذن لي في الزنى ، يظن أن ذلك علاج مما به من آلام الشهوة تمامًا كما ظن بعض المعاصرين أن الاختلاط المفتوح ، والقبلة العابرة ، والضمة السريعة علاج من الكبت وآلام الغريزة . فقال له النبي الرحيم : « أترضاه لأمك ، أترضاه لأختك ، أترضاه لعمتك ، أترضاه لخالتك » . فكانت الإجابة في كل مرة : لا ، وكذلك الناس لا يرضونه ، ثم دعا له النبي : « اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه

وحصن فرجه »[1] .

اعلموا أيها الأبناء أن الأعراض ديون يجب أن تسدد ، فكما تُدين تُدان ، وكما تَهتك تُهتك .

يا هاتكًا حرم الرجال وتابعًا طرق النساء فأنت غير مكرم
من يزني في قوم بألفي درهم في أهله يزنى بربع الدرهم
إن الزنا دين إذا استقرضته كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

وكما يحكي الشيخ حسن البنا في مذكرات الدعوة والداعية عن أحد أصحابه وكان يعمل خياطًا لدى الإنجليز ، فأرادت زوجة أحد كبار الضباط أن تغويه وهددته بالقتل إن لم يستجب لندائها الشيطاني ، فما كان منه إلا أن استعصم بالله وقال : لا إله إلا اللَّه محمد رسول الله ، فارتعشت وخافت وخرج سليمًا وأعقبه اللَّه صحة ومالًا ، وصدق القائل :

عفوا تعف نساؤكم في المحرم وتجنبوا ما لا يليق بمسلم

---

(١) صحيح . أخرجه أحمد (٥/٢٥٦) ، « قال الهيثمي في المجمع (١/١٢٩) : رواه أحمد والطبراني في الكبير (٧٦٧٩) ، وإسناده حسن » عن أبي أمامة ، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٠) .

ويقول مالك بن دينار : « جنات النعيم بين الفردوس وجنات عدن فيها جوارٍ خلقن من ورد الجنة يسكنها الذين همّوا بالمعاصي فلما ذكروا ربهم تركوها خوفًا وحياء »[1] .

٩- تذكر وتدبر الأضرار الناجمة عن مثل هذه العلاقات فمن الأضرار الدنيوية :

* تشتت الذهن وضعف الذاكرة وسوء السيرة والغم العظيم :
« إنني أفكر في الانتحار كل يوم ، ففي داخلي طاقة تخترقني كالرصاص خاصة أن الفيلم العاطفي ينميها ، والقصة تثيرها »[2] .

* طالبة متفوقة جدًا ، وفي منتصف عام ٩٨ شكت لي ضعف المذاكرة ثم بكت لسوء حالها وعرفت منها أنها واقعة في غرام شاب .

* وطالب سنة ٩٧ عاني تجربة حب قاسية كلفته الرسوب لمدة عامين[3] .

---

(١) روضة المحبين لابن القيم ص ٤٥.
(٢) العفة ومنهج الاستعفاف : يحيى بن سليمان العقيلي ص ٣٥.
(٣) الشباب والحب والغريزة ص ٤٩.

وتقول المربية الغربية مرجريت سميث : « إن أكثر من ٦٠٪ من الطالبات سقطن في الامتحان وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن »[١].

١٠- الخوف على السمعة والذكر الحسن بين الناس .

١١- تغيير الصحبة والبحث عن رفقة الخير .

١٢- قطع هذه العلاقة فورًا والهروب من كل ما يقرب منها والصبر على ذلك ، نعم قد يكون الصبر في البداية صعبًا ، ولكن من لاحت له حلاوة الأجر هان عليه ألم التعب .

فمن صام عن الحرام في الدنيا أفطر على النعيم في الآخرة .

كما قال ابن عباس : « إن في الجنة حوراء مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي » .

ولنتدبر قصة المغنية سلّامة مع القس عبد الرحمن بن أبي عمار : قالت له : واللَّه إني لأحبك وأشتهي قربك . فقال والله : وأنا مثلك . فقالت : فما يمنعك . قال : يمنعني قوله سبحانه :

---

(١) الإسلام والجنس : عبد اللَّه ناصح علوان ص ٢٤.

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف : ٦٧] . فأكره أن تتحول مودتي لك عداوة يوم القيامة أكره أن أكون من سيئاتك وأن تكوني من سيئاتي[1] .

ومما يحكى أن فتاة ذهبت للعبد الصالح عبيد بن عمير القاضي : وقالت له أريدك في أمر خاص على انفراد فقام إليها فحدثته عن حبها له ، وتعلقها به . فقال لها : إني سائلك فأرجو الجواب بصدق :

١- لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أني لبيت طلبك ؟ قالت : اللهم لا .

٢- لو أُدخلت في قبرك وأُجلست للسؤال أكان يسرك ذلك ؟ فقالت : اللهم لا .

٣- لو وقفت بين يدي اللّه سبحانه للحساب أكان يسرك ذلك ؟ فقالت : اللهم لا . قال : فاتق اللّه أمة الله .

أفلا نغار على أعراضنا وديننا ؟!!

---

(١) وحي القلم . مصطفى الرافعي ١/١٠٧- ١١٢ بتصرف .

هيا أختاه ... خوفًا على العرض ... خوفًا على السمعة ، ومن قبل خوفًا من اللّٰه الواحد الأحد . قولي لكل عابث : ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الزمر : ١٣]

قولي لكل مستهتر عجبًا : ﴿ يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ [غافر : ٤١] .

قولي لكل فاسد : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار : ٦] .

وأساس ذلك كله وجماع القول : الرغبة في اللّٰه سبحانه ، فهي ملاك الأمر ، وأساس الحياة الطيبة ، وأصل السعادة الحقة : ﴿ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح : ٨] . ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [الذاريات : ٥٠] .

* الراغب في الله : يستحيي من ربه ويخافه بالغيب ، فلا يعصيه ، ويأنس بربه ويستوحش من غيره ، ويعتز بدينه ويستغني عما يضره .

* **الراغب في اللّٰه** : يعلم أن للعبد ستر بينه وبين ربه وستر بينه

وبين الناس ، فمن هتك الستر الذي بينه وبين ربه ، هتك اللَّه الستر الذي بينه وبين الناس .

وسُئل أحد الصالحين : ما أفضل الأعمال ؟ قال : رعاية السر عن الالتفات إلى أي شيء سوى الله .

* **الراغب في اللَّه** : يؤمن بقول النبي عليه السلام : « إنَّ اللَّهَ كتب على ابن آدمَ حظَّهُ من الزِّنى أدركَ ذلك لا مَحالة : فزنى العين النَّظر ، وزنى اللسانِ المنطق ، والنفس تَـمَنَّى وتشتهي ، والفرج يصدِّق ذلك ويكذِّبه »[1]. لهذا فلا نظر محرم ، ولا فم يقبل حرامًا ، ولا قلب يجول فيما لا يحل .

* **الراغب في اللَّه** : يعلم أن من ترك شيئًا لله عوضه اللَّه خيرًا منه ، ولنا في يوسف الصديق عليه السلام عظيم الأسوة ، لما أعرض عن امرأة العزيز وآثر السجن طاعةً لله ، كانت عاقبته رفعة الدنيا بالملك والزواج من امرأة العزيز ، ﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ [النحل : ٤١] .

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٢) ، ومسلم (٢٦٥٧) عن أبي هريرة .

* يتذكر ما فعله المهاجرون من ترك الأموال والديار لله ، فماذا كانت العاقبة ؟ خير أمة أخرجت للناس .

وما أجمل قول العبد الصالح نور الدين محمود لشقيقه لما فقد إحدى عينيه في الجهاد سنة ٥٦٠ : « لو كشف لك من الأجر الذي أعد لك لتمنيت ذهاب الأخرى »[1] .

* **الراغب في الله** : يشتاق للجنة وفي أذنه دومًا نداء الحسن البصري : « يا معشر الشباب ، أما تشتاقون إلى الحور العين ؟ » .

– يعلم أن بدنه لا ثمن له إلا الجنة ، فما أقبح أن يبذله في سوق الشهوة ، ودار الخسارة .

– يعلم أن له ربًا ملاقيه ، وبيتًا هو ساكنه ، فاجتهد لاسترضاء ربه قبل لقائه ، وتعمير بيته قبل الانتقال إليه .

* **الراغب في الله** : يحفظ حقوق ربه سرًا جهرًا ، وله أسوة في السري بن دينار لما أرادت امرأة أن تفتنه فقال لها :

---

(١) رحلة في تكوين حاكم مسلم : عماد الدين خليل ص ٣٥، دار الاعتصام .

وكم ذي معاصٍ نال منهن لذة ومات فخلّاها وذاق الدواهيا
تصّرم لذات المعاصي وتنقضي وتبقى تباعات المعاصي كما هيا
فيا سوءتا والله راءٍ وسامع لعبد بعين اللّه يغشى المعاصيا[1]

* **الراغب في الله :** يؤمن بقول الزهري : « والله إن نفسي لغالية وأضن بها عن النار ، وللصبر اليوم عن معاصي اللّه خير من الصبر على الأغلال »[2].

* **الراغب في الله :** يحفظ قلبه ليصون عرضه فلا امرأة تخدعه ، ولا مجلة خليعة تفتنه ، ولا أغنية رخيصة تطربه ، وما يطربه إلا نداء الحق ، وصوت الهدى . كقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

يــــا رب

ببابك لن أغادره ولن أسعى إلى غيرك
سأنسج بالرضا ثوبي وأشرف أنني عبدك
وأهتف في جبين الصبح حين يقال مَن ربك؟

(١) روضة المحبين : لابن القيم ص ٣٣٩.
(٢) اعتلال القلوب للخرائطي ص ٨٣.

إلـهـي خـالـق الأكـوان أشـرف أنـنـي عـبـدك
إلـهـي خـالـق الإصـبـاح شـرفـي أنـنـي مـلـكـك[1]

* **الراغب في الله** : يحفظ وقته فهو رأس ماله حتى لا يكون ممن عناهم محمد بن حاتم الترمذي : « رأس مالك قلبك ووقتك وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون وضيعت أوقاتك بارتكاب ما لا يعنيك فمتى يربح من خسر رأس ماله »[2] .

ويعي جيدًا وصية الأوزاعي لتلاميذه : « ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة ، يومًا يومًا ، وساعة ساعة ، ولا تمر به ساعة معصية إلا انقطعت نفسه عليها حسرات »[3] .

* **الراغب في الله** : يحفظ عقله بدليل سمو همته ، ونبل عاطفته ، وعلو أشواقه ، وله أسوة في عبد الله بن عمر عندما سمع حديث النبي عليه السلام : « من تبع جنازة مسلم فله قيراطان ،

---

(١) القائل : حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه السلام .

(٢) المنتقى من ذم الهوى : لابن الجوزي ، اختصار خالد أبو صالح .

(٣) مع العارفين : د . سعيد رمضان ص ١٩.

وكل قيراط كجبل أحد » أصابه الحزن وقال : كم فرطنا في قراريط كثيرة[1] .

* **فالراغب في الله** : لا يتحسر إلا على خير فاته وشعاره لا إله إلا الله ، كم فرطنا في قراريط من الخير والبر عديدة ، فلا يتحسر على شهوة فاتت ، ولا على امرأة فاسدة رحلت ، ولا على ضمة عجز عنها ، ولا على شر فشل في الوصول إليه .

بل غايته كغاية عمر بن الخطاب - في سموها وعظمتها - عندما سأل عمر رضي اللّٰه عنه أصحابه واحدًا تلو الآخر . فسأل الأول : ماذا تتمنى من اللّٰه ؟ قال : أتمنى من اللّٰه أن يعطيني مثل جبل أُحد ذهبًا لأنفقه في سبيل اللّٰه سبحانه .

وسأل الثاني : ماذا تتمنى من الله ؟ قال : أتمنى من اللّٰه أن يرزقني ملء المدينة خيلًا أغزو بها في سبيل الله .

وسأل الثالث : ماذا تتمنى من اللّٰه ؟ قال : أتمنى من اللّٰه أن يرزقني مثل المدينة عبيدًا أعتقهم لله تعالى . فقال عمر : أما أنا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٤) ، ومسلم (٩٤٥/٥٥) عن أبي هريرة .

فأتمنى ملء هذا المسجد رجالًا أمثال أبي بكر الصديق .

ولله در بديع الزمان النورسي لما قال : « أسمى غاية هي الإيمان بالله ، وأجل نعمة هي محبة اللّٰه التي تحرك القلب نحو ربه فيشعر بالأمن والأمان »(١) .

* **الراغب في الله** : يخاف من ربه : من الوقوف بين يديه ، والعرض أمامه ، فتخيل نفسك - أيها العاشق - وأنت واقف مع محبوبك كيف يكون موقفك بين يدي ربك ؟ أو لا تتدبر حديث الرسول عليه السلام : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان »(٢) .

فأعز أمر اللّٰه - أخي الكريم - يعزك الله ، ولتتأمل قول علي رضي اللّٰه عنه : « من أراد عزًّا بلا عشيرة ، وغنى بلا مال ، وجاهًا بين الإخوان فليخرج من ذل المعصية لله إلى عز طاعته » .

وسُئل أحد الصالحين من تلاميذه : أما تستوحش ؟ فقال : الأنس بالله قطع عني كل وحشة . فأين ألقاك ؟ قال : في الآخرة

---

(١) كيف تكون محبوبًا ، د . ماجد رمضان ص ٢٥.

(٢) البخاري ٦٥٣٩ الرقاق ، ومسلم ٦٧ كتاب الزكاة .

فهي مجمع الصالحين ، وأين أطلبك ؟ قال : في زمرة الناظرين إلى الله ، أستاذي : وكيف علمت ذلك ؟ قال : بغض طرفي عن كل حرام ، واجتنابي لكل منكر ، وسؤالي لربي أن يجعل جنتي لذة النظر إليه[1] .

* **الراغب في الله** : دائمًا ما يتمثل قول الربيع بن خثيم للمرأة التي أرادت إغواءه ؛ إذ قال لها : كيف بك - أَمة الله - لو نزلت بك الحمى فغيرت لونك ؟ كيف بك - أمة الله - لو نزل إليك ملك الموت ؟ كيف بك - أمة الله - لو سألك منكر ونكير ؟

أمة الله : إني أخاف نارًا لا يخبو سعيرها ولا يخمد لهيبها[2] .

مثل لنفسك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور
إذا الجليل طوى السما بيمينه طي السجل كتابه المنشور
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت لفتى على طول البلاء صبور

---

(١) قبسات من حياة الرسول : محمد غسان ص ١٧٠.
(٢) التوابين لابن قدامة ص٢٧٣، صفوة الصفوة ٣/١٦١، ذم الهوى لابن الجوزي ص ٢١٣.

وإذا الجنين بأمه متعلق يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية كيف المصر على الذنوب دهور ؟!!

* **الراغب في الله** : يصرف الحب في سبل الخير وأوجه المعروف ، وله أُسوة في حب علي بن أبي طالب لرسول الله حين سُئل : كيف كان حبكم للرسول ؟ قال : كان ﷺ أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وأهلينا ، وأحب إلينا من الماء البارد على الظمأ .

وقول عمرو بن العاص : ما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ، ولا أجل في عيني منه .

أفلا نحب ربنا على نعمه ، ورسولنا على فضله ، وآباءنا وأمهاتنا على رعايتهم لنا ، ومعلمينا الخير لإرشادهم لنا ، ولصحبة المعروف لأخذهم بأيدينا للجنة ....

هلا فعلنا ذلك ...

* * *

الخاتمة

خلاصة ما أريد أن أذكر به أننا لا ننكر ميل الرجل للمرأة والعكس، فهذا أمر فطري لا نطالب بإنكاره ولا تجاهله بل نطالب بحفظه وإحاطته بأسوار من القيم، وضوابط من الدين لأننا في واقع يجد فيه الملتزم بدينه مشقة وبلاء مصداقًا لقول النبي عليه السلام: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»[(١)].

نحن لا نستخف بهذا الموضوع، ونتهم أصحابه بأنهم «عيال»؛ لأن ديننا يعترف بالعواطف وضرورتها وأهميتها، لكن المطلوب إقامة قناطر وسدود أمام هذا النهر الجاري لنخفف من حدته وقوته ولنصرفه في أوجه الخير والفلاح.

وللعلاقة - بين الشاب والفتاة - ثلاثة أبعاد[(٢)]:

١- **بعد شرعي**: فالحكم في هذه العلاقة التحريم - كما

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢) عن أنس رضي الله عنه.
(٢) مراهقة بلا أزمة ١٤٣/٢- ١٤٤.

سبق تفصيله - لما يصاحبها من فعل للحرام « نظر - مصافحة - تلامس - عناق - خضوع بالقول - آهات وآلام - زنى وخيانة » .

٢- **بعد اجتماعي :** فهذه العلاقة لها آثار خطيرة مثل :

سوء السمعة ، وضياع الشرف والعرض ، بل وتأخر الزواج ، وشيوع ظاهرة العنوسة أمر مشاهد ملموس ، ولماذا يتأخر ؟ لضعف الثقة في صاحبة هذه العلاقة ، فكما خانت ربها وأهلها ما الذي يضمن عدم تكرار هذه الخيانة مع أحد آخر من خلف زوجها ؟

٣- **بعد نفسي :** فأصحاب هذه العلاقات يصابون بأعراض واضحة من خوف وقلق واضطراب خشية افتضاح أمرهما ، ونجد الصدمات النفسية لفشل هذه العلاقات ، حتى إن البعض يلجأ للانتحار لفشله في هذه العلاقة ، ولنلاحظ رأي أهل العلم :-

- **علماء الاجتماع** يرون أن أبناءنا تأثروا بتيار المادية الذي طغى على المجتمع .

- **وأساتذة الإعلام :** يرون أن الإعلام يزيف الوعي ويركز على القيم السلبية .

- **وعلماء الأخلاق القويمة** : يرون أن أولادنا ضحيتنا والدين هو قارب النجاة[1].

ولهذه العلاقة دافعان :

١- دافع خارجي مصدره الإثارة المبثوثة في أزياء الفتيات التي هي أقرب للعري منها إلى الاكتساء ، وفي الأفلام العاطفية ، وفي الأغاني الغرامية ، حيث الرقص والتمايل ، وفي الاختلاط غير المنضبط .

٢- دافع داخلي مصدره انشغال العقل وتعلق القلب بالمحبوب ليل نهار .

ولكي نصل إلى الدرجة المنشودة من الاستعفاف والالتزام فلا بد من :

أ- **إدراك الذات** : وذلك لن يكون دون معرفتنا للغاية التي خلقنا اللّه من أجلها .

ب- **الالتزام** : وذلك لن يكون دون تسلحنا بقيم الدين ومُثُل

---

(١) مراهقة بلا أزمة ٢/ ١٢٦.

الحق .

جـ- **تنمية الوازع الديني :** وذلك لن يكون إلا بمجاهدة النفس ولزوم تقوى اللّٰه سبحانه .

د- **تحقيق الأمن العاطفي في البيت :** وذلك لن يكون إلا بالمصارحة التامة والحب المتبادل بين الجميع .

هـ- الرقابة والمتابعة الجادة ، والتقويم المستمر من الوالدين وأهل العلم والتربية[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) شباب بلا مشاكل : د . أكرم رضا ص ٩١.

وختامًا

أيتها الأخت المسلمة : كم أتمنى أن تكوني باستقامتك على الحق ، وسلوكك الهدى حسنة في ميزان كل فتى .

وأتمنى لك أخي المسلم أن تكون بالتزامك الدين ، وسيرك على الحق حسنة في ميزان كل فتاة .

أتمنى ما هو أسمى لكل البشرية ، أتمنى رضوان اللَّه سبحانه .

فاللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ من سخطك والنار .

اللهم تقبل هذا الجهد المتواضع ، واجعله زادًا لي بين يديك ، وذخرًا أدخره ليوم القيامة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضـــوع — **الصفحة**

لماذا هذا الكتاب ؟ ٣

المقدمة ٥

الباب الأول : « الحب : تعريف – أهميته » ٨

الباب الثاني : « مراحل الوقوع في شراك الحب » ١٨

الباب الثالث : « أسباب ودوافع الوقوع في هذا الأمر » ٢٢

الباب الرابع : « العواقب والآثار المترتبة على هذه العلاقة » ٤٨

الباب الخامس : « شبهات مثارة والردود عليها » ٧٢

الباب السادس : « سبل العلاج والإصلاح » ٩٧

الخاتمة ١٢٣

فهرس الموضوعات ١٢٨

* * *

كمبيوتر : ربيـع محمـود - ت : ٤٧٥٠٠٨٠